ظمأ الأقحوان

أسم الكتاب : ظمأ الأقحوان

أسم المؤلف : صابرين صاحب

دار : حلم على ورق للنشر الالكتروني

رقم الاصدار : 10

تاريخ النشر : 2020/5/15

لا يسمح بنسخ او اعادة نشر الكتاب او جزء منه بدون علم الناشر

جميع الحقوق محفوظة 2020

الإهداء

إلى أوراقي المُمزقة في نهاية الغرفة،

إلى صمتي منتصف الليل، لهلوسات الأبهام، لتخبط الخيبات، إلى همزة القطع المترنحة في داخلِ عقلي وأنسى وضعها، إلى الهاتف الذي قرب القلوب وتركني، أسمع صوت أبي قبل الوفاة، إلى أبي "صاحب البديري"

أمي العزيزة رفيقة الدرب.

المقدمة

كُن حمامةً بيضاءً تُحلق في وسطِ وطن الحروف،

غادر جراحك اليوم مثل سفينة..

غادر جراحك مثل سفينة..

غادر جراحك مثل..

غادر جراحك..

غادر..

غ..

"لا تجزع من جرحك وألا فكيف يتسلل النور إلى باطنك"

جلال الدين الرومي

"حينما أَتذكر ذاتي في نفس التوقيت مِن العامِ الماضي،
أدركُ أنَ عاماً واحداً، يستطيعُ تغيير الكثير" .

نجيب محفوظ

"الألم ثَمَرَة .
والله لا يَضَعُ ثِمارًا عَلَى غُصْنٍ ضَعيفٍ لا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِها" !!!

فيكتور هوجو

سمفونية

لقد أصَبتُ أحد المتظاهرين بطلقٍ ناري، وتوسدتُ على سريرٍ ناعمٍ بعد يوم متعب، لكن ما هي إلا لحظات وشاهدتُ جثتهُ أمامي تتوسد سريري، والأغرب من ذلك، أرى أُمي تقبل جبينه وتوسد وتلثم طرف ثوبه المُخضب بالدم، نعم لم أشعر إلا بصوتِ أبني الصغير "أبي ماذا يعني شهيد؟"

قلتُ "من قتله أباك، وقبلته جدتك".

تجفيف الحياة عام ١٩٩١

عندما كنتُ صغيرًا، أسكن بأحدى القرى القريبة من الأهوار في وقتِ السبعينات، أدرس في المرحلة الابتدائية، أعشق تفاصيل الدراسة، أتكبد عناء الذهاب متحفي للوصول إلى أقرب مدرسة،

كانت علاقتي جيدة بجميع المعلمين، أقتنص المعلومات، تعلمتُ القراءة في سن السابعة أي في مرحلتي الأولى، كنتُ فطن مثل ما يقول أستاذ توفيق، أستاذ توفيق بربطة العنق الحمراء وتسريحة الشعر السبعينية وصوته الجهوري الجميل، أجلسُ قريب منهُ بعد كل حصة دراسية، أقرأ دروسي لأنني لا أجد من يراجع معي في البيت، أبي لا يستطيع القراءة وأمي كذلك جميعهم منهمكين في الصيد وتربية الماشية، أصبحنا أقرب صديقين، أستاذ توفيق فاض عليّ من عطفه، في العطلة الصيفية كان يناولني بعض الكُتب لكُتاب عالميين، أجمع أفكاري، كانت أول قصة أدبية أكتبها في عمر العاشرة، تتحدث عن شخص يرتاد أحدى الحانات ويحتسي الخمور ويتعاطى الممنوعات، عندما قدمتها لأستاذ توفيق أصابتهُ صدمة كيف يمكنكِ العيش في سطور القصة وأنتِ حتى لا تعرفين تلك الأشياء؟

أستمريتُ في الكتابة إلى حدِ الثمالة،

تخيلتُ منازلهم، كل ما يملكون، أصبحتُ أصنع مكتبتي الخاصة، عندما أصبحتُ في المرحلة الثانوية حاولتُ التواصل مع أستاذ توفيق لكن الموت قد أخذه مني، كانت فترة الثمانينات قاسية جدًا على قلبي،فارقتُ فيها ملهمي في فن الكتابة،بعد فترة وجيزة أو سبعة أيام من وفاتهِ، جاءت أم حازم إلى منزلي، أخبرتني بوصية أستاذي وهو نقل كل الكُتب إلى منزلي؛ لأنها ستذهب إلى المدينة!

لقد فرحتُ وسقطت دموعي في ذلك الوقت، نقلتُ كل الكتب بأنواعها، صدمتُ بأنواع الكتب العربية لكُتاب عرب، صدمتُ بالتراث العربي، أصبحتُ أطالع كل رواية، كل كتاب، لكن سقطتْ من طرف مجلد قديم ورقة، كان فحواها طلب بعثة لدراسة أدب الكتابة من معهد عالمي، كانت هدية أستاذي وكيف يمكن لشخص يسكن في الريف تحقيق هكذا حلم؟ أنطلقتُ حاولتُ دراسة اللغة الأنكليزية، أستمريتُ أشهر، بعد ذلك سافرتُ لأكمال الدراسة، جلستُ مع أحد المقيمين، ملابسي الرثة وهندامي وجسدي الهزيل كان علامة على بؤسي، ظن الجميع أنني أفتقر للمعرفة، وظن الجميع عدم أتقاني اللغة، بعدها أصبحتُ أحاول مساعدتهم ببعض الواجبات في معهد تعليم أسلوب الكتابة، حاولتُ بأشد الطرق رسم قصة لتلك القرية الجميلة "أهوار الجبايش"، والمنزل القديم ومضيف الشيخ، بعد إكمال الدراسة عدتُ مثل طفل صغير، أعوض الطفولة المسروقة بواسطة النظام الحاكم،

شاهدتُ أختلاف النظام، طريقة العيش، وأصعب شيء تغيير ملامح أمي، زيادة تجاعيد الوجه، أنحناء الجسد، أختلاف الأهوار، الوقت

الطويل لقد تحسفت على عدد السنين، لم تكتمل قصتي بعد أمي وصلت إلى الشيخوخة لقد نسيتْ وجودي، أبي مفقود أي مختفي الأثر، ذهبتُ أجر أذيال هزيمتي، بعد تجفيف الأهوار خلال الحقبة عام ١٩٩١، كانت أيام صعبة على كل سكان تلك المنطقة، دبَّ الخوف في جميع المناطق، أصبحت تحاول إيجاد لحظات الطفولة، جلست في طرف المضيف وأستمرت في الكتابة، وإلى اليوم لم يستطيع أحد إعادة ما دُمِر.

انتشال الروح

بعد مدة من جلوسي قريب من أحدى القرى المجاورة بجانبِ كنيسة قديمة يرتادها بعض سكان القرية، كنتُ أنتشلُ الأموالِ والذهب وحتى قطعِ الطعام، أنتشلُ كل شيء، في أحدى الأيام جلستُ على وقعِ صوت تساقطُ قطراتِ المطر،

أستيقظتُ أندب حظي العثر، حاولتُ جعل خيط أمل أتمسك به هو وجود شخص يحاول القدوم إلى الكنيسة بدافع نذر أو هروب من الحياة، هذا حال جميع النشالين، بدل من إيجاد عمل يعيش على أوهام، تحسستُ وقع خطوات قريبة مني كانت أقرب إلى حسيس هبوب نسيم هواء بارد، تداخلت أجزاء عظامي، شعرتُ بأختناق،

أصبحت الخطوات تقترب، أشحتُ بنظري وإذا بها فتاة في العقد الثاني من العمر تجر ثوبها الأبيض المطرز كأنها حورية من الجنة،حاولتُ الأقتراب منها، شعرتُ بتفتتِ أجزاء جسدها من البرد،شعرتُ شعورًا غريبًا لأول مرة، شعور حوَل كل كياني إلى روح تغادر مع أرواح القبور الموجودة خلف الكنيسة، حاولتُ جلب بعض الملابس المهترية، حاولتُ لثم الخوف، أردتُ فقط إعادة النفس إلى جسدها الصغير، حاولتُ بأشد الطرق أحيائها، سقيتها بعض الماء، نمى أسفل جسدها توليب صغير، أستمريتُ طوال الوقت أحاول إيقاف من يمر لكن لم أشاهد أحدًا،

ذهبتُ أهرول إلى الكنيسة وكانت أول مرة أدخل إلى هناك بغير هدفي اليومي "السرقة"، دخلتُ أحاول أخذ نفس من ظلِ الجرس، أصبحتُ أتعثر، أسقط، أنهض، بكيتُ لأول مرة، أشعر بحرارةِ الدموع، أول مرة أشعر شعور الحزن، شعرتُ بضيقِ نفسي،

سقطتُ مغشي عليَّ،

ما هي إلا لحظات وإذا بي أجلس على صوت القس

"لقد تطهرت روحك يا ولدي".

سمراء

تجلس في ركنِ الطريق وتجمع أوراقها القديمة،

ردائها الكستنائي،وترمق الجميع بتلك العيون النرجسية الجميلة،

الوشاح يرفرف والرياح تجذب النسمات العليلة والعطور الجميلة تنتشر بربوع المعمورة،من هي تلك المرملة المتروكة في قارعة الطريق بسبب الطمع والجشع؛

أمست تعانق الحصار الفكري من جميع النواحي، عاشت في أسرة جرداء تكتنز المال وتظن وجود يوم عبوس يسيطر على أركان الحياة ويقتص الفرح، عاشت منتظرة ذلك اليوم والدموع لا تغادر خدها الجوري، أمسى أكتناز السلع حتى الفرح منتشر ويسري في وريد الأسرة، وترى كل شخص يذعن إلى جمع الممتلكات، حتى البسمة أصبحت الأم تخبئها وتترك فقط الحزن إلى وقت زوال الشمس، وسقوط الأوراق وإهتراء الجلد، أصبح الأب كهل والأم عجوز، وسنين الفرح ذهبت بسبب سارق جبان لم يترك حتى القليل، فقط بسمة صغيرة على وجه هذه الفتاة الصغيرة في ركن الطريق.

(كاد قلبي يغادر هذا المكان المقفر ويرمي فتات هذا النبض ويعاود العمل وينشر الفرح في أرجاء هذا الجسد الهزيل).

القرية (سوالف جنوب)

في أركانِ القرية كان هنالك بيتٌ ريفيٌ صغير،

يتكون السقف من جذوعِ الأشجار وسعفُ النخيل،

والأرض تحتوي فراشٌ قديمٌ مُهتري،

وخارج المنزل كان هناك تنور طين جميل ورائحة الخبز تفوحُ وقت الغداء ومكان لشوي السمك وبعض الأوزات الجميلة، كانت حياة جميلة في كنفِ العائلة الريفية ورائحةُ العراق تجوبُ بكلِ الأرجاء، في بعضِ الأحيان أذهب لجلب الماء كنتُ جميلة أمتزجتُ مع ملوحة ريفية جنوبية، عطري هو عُطر الحقل وعيني أخذت من السماءِ لونها وخُصل شعري تُداعبُ الهواء شقراء، لو كنتُ في أحدى المدن الأوروبية لكنتُ ملكةُ الجمال،

كبرتُ ومن عادات المناطق الريفية خروج الأطفال لِلَعب ذكورٌ وأناث، مع روح طفولية بعيد عن أي ضنك وأي وسواس يزرعُ التفرقة، في صباحٍ مُنعم بشمسٍ عراقية ورائحة الحقول وإذا بأبي يأمُر الجميع بتحضيرِ الطعام،

كنتُ أنا البكر أبلغُ من العمرِ أربعة عشر سنة، وأخوتي أطفالٌ صغار، ناولتني أمي زمام الأمور،أعد معها الطعام ولا أعلم ما السبب؛ ولماذا هذا الكم الهائل؛ لم أشعر إلا ومركبةٌ صغيرة ترسي قريب من مضيفِ جدي القديم!

خرجتْ منها إمرأة ورجل وشاب يرتدون ثيابٌ مختلفة، أعتقد أنهم من غير مكان، تركتُ ما في يدي وأصبحتُ أعاين من ثقبٍ في الجدارِ أرى شاب على وجههِ علاماتُ الذهول هذا الوقت عام ٢٠٠٥، كان الوقتُ مبكر، دخلت المرأةُ جلبتُ لها بعض الماء والطعام كانت شاردة لا أعلم هل أكلمها؟

نظرتْ إلى وجهي وقالت: بكِ جمالُ بغداد،

بقيتْ تتكلم عن حال بغداد وكيف تم التهجير،

وبسبب المعرفة القديمة لأبي الشيخُ الكبير،

جاءت بهم الأقدارُ إلى هنا، لا تملك من الدنيا فقط علي وسعد زوجها الأسمر، كنتُ لا أفقه الكثير طفولية جدًا أركضُ ولا أرتدي حجابي بشكل مُنظم خُصل شعري تتطاير بسبب الهواء، وإذا بي أصطدم بذلك الشاب،

يا ويلتي!

كم كنتُ طفولية مشعوذة، أما هو أبتسم وأكمل طريقه، لقد تكلمتْ خالتي الكثير عنهُ لكن لا أتذكر فقط أنه طالب يدرسُ في الجامعة، لا أعلم ما هي الجامعة لأنني لا أستطيع كتابةُ أسمي حتى بسبب عدم دخولي المدرسة،

جلبتُ الماء وعدتُ لا أعرف شعورٌ دخل إلى قلبي، شعورٌ مُبهم جعل جل أهتمامي في ذلك الشباب،

القرية تعمُ بشبابِ أعمامي لكن؛ لا أعلم لعل القدر كتب لي قصة جديدة، أُطالع كل عمل يقوم به من خلال الثقبُ الصغير للمنزل الريفي القديم..

عالمي الصغير كان مجرد من أي أحساس فقط عمل ولعب اليوم، أصبحتُ مثل أي فتاة تفكر بعالمٍ جميل مُنعم بظلِ السلام، أحاول ترتيب نفسي، تمشيط شعري، أرتداء الحجاب بشكل مُنظم ورسم أحلامي، أضع من أحمرِ شفاه، خالتي أُم علي

تنظرُ لي وتبتسم!

وكلما تُعاين مُقلتي ترى السلام، كانت كل مُناي العيش حياة جميلة، رسم خطوط الأمل كل يوم، كنتُ أقضي وقتي بجوار تلك السيدة الجميلة،

خلال الستة أشهر تعلمتُ الكثير، أصبحتُ أنطق الكلمات وحتى أكتب، خطي جميل لكن ماكان يأذي قلبي خلال تلك الفترة كان (علي) في عالمٍ مُختلف حتى لم يلاحظ وجودي، أخذتُ بعض الكُتب من السيدةِ وأصبحتُ أُطالع العالم من منظارٍ آخر،

أسرحُ في خيالِ الروايات والكُتب،

تغير أسلوبي كبرتُ مئات السنين، أقضي نصفَ وقتي بين الأوراق والنصفُ الآخر أعمالُ المنزل، نسيتُ (علي) وحتى لا أذكرهُ ولا أفكرُ بوقتِ ذهابهم وبقائهم إلى أن سمعتُ صوت أجتث كياني، منذُ أسبوع لم ألمح ظلكِ خلف الجدار ألم تشتاقي لعلي؟

وإذا بي أنهضُ من المكانِ وأتركُ كتابي،

أتلعثمُ في الكلامِ وأهرب، أحاولُ عدم اللقاء بهِ، مرت الأيام ولا أعلم شعورَ علي، أهو حُب، أم شفقة، أم ضحكٌ على الذقونِ، مرتُ الأيام وحان وقتُ العودة مُكلل بالخوفِ وشعور الحزن، فقدتُ الكثير قلبي وكل ما تعلمتُ خلال الستة أشهر، خالتي أحتضنتي وأصبحت عيوني مثل الشلال بكيتُ كثيرًا،

حتى لا أعلم على أيُ شيء، بكيتُ على نفسي، على قلبي المتعلقُ في طرفِ المركبة، على حروفِ السيدة، وحشة البيت بعد الفُراق، مرتُ الأيام وحان موعد زواجي لقد كبرتُ كثيرًا! نعم هذا كلام أبي وأمي، أستسلمتُ لواقعي حتى لم أجادل أو أسأل عن حال العريس..

أهو من القريةِ المجاورة، أم من قريتي؟

هل هو قريبٌ أم بعيد؟ أعلم حال بنات الريف تتزوج من أبناء عمومتها مابالي بكلامِ الكُتب والروايات،

بقيتُ مثلُ السجينة لم أسأل عن حال خطبتي ولا وقتها إلا أن سمعتُ أهزوجة وصوتُ (الهلاهل)

كان الصوت معرُوف! مر على مسمعي، خرجتُ أهرول وخُصل شعري تتتطاير وإذا بها خالتي أُم علي تحاوط يديها عليَّ وتحضنُني وتقول هل تكونين(چنتي)؟

لا أعلم ما عنوانُ الشعور، غصةُ الفرح هرولت.. أين علي؟ وإذا بهِ يُرمقني بنظرةٍ وأبتسامة جميلة.

الطفولة

مقهى الشابندر وعطر القهوة والشاي العراقي،

والأغاني القديمة من المذياع وصوت أبي حسين عندما يُغني لياس خضر وقرقعات الدومنة وتعالي الأصوات،

أيامٌ عاشها أحمد الصغير،

كان يعمل في مسحِ الأحذية قريبٌ من المقهى،

تعلمَ الكثير من خلال تصفح وجوه الزوار، أصبحَ صديقًا للجميع، الكاتب والفنان الموسيقي،

يأخذ أحدى الزوايا ويُدخن بعض السجائر المرمية من المارة، يَسرق رغيف الخبز الموجود على الرصيف،

يأخذُ برهة من الزمنِ ويدندن بعض الأشعار،

قامَ بحفظها من أحد رواد الشابندر لا يذكر أسمهُ،

يستمتعُ لهُ بعض المتسولين، مرت الأيام على تلك الحالة..

وضعٌ رث، وتلك الملابس نفسها،لا يكادُ السيف يخترقها من كمية الأوساخ المنتشرة بين أجزائها، أقترب أكتوبر (من الأشهر الباردة)،كان يقاسي فيها الصغير مجهول الهوية من الصعيق، يتوسد على الرصيف، المشكلة تكمن بمرور الوقت، يصبح البرد

قارص والطفل في هذا الوقت من السنة يتتدعى ويصبح خشبة متيبسة، يذهب بريقهُ الطفولي،

يذهب كل شيء مع أحلام بلادي، أستمر الشتاء البارد فقط على الفقراء يرمي سمومه وآفاته، الأمطار تكون نقمة تكزبر بها جلودهم قصة لا يعرفها أحد ولم يهتم بها أحد،

مرت أيام البؤس المتهالك، كانت الشتوية قاتلة والأمطار غزيرة، لا يجد ما يتلحف به، لكن أقترب منهُ رجل في سنِ الأربعين قبَلهُ وهو متيبس يتلعثم، حاول الكلام معه، أركبه سيارة فاخرة،

ظن أنه يوم سعده، ما هي إلا لحظة وأختفى كل شيء، النفس، الروح، أصبح كومة من الأعضاء بُيعت في السوقِ السوداء والأسوء من ذلك عادت الناس إلى المقهى ورائحة القهوة ولم يفكر أحدًا بهِ،

هذا حال أحد أطفال العراق.

فقدانُ البسمة

القسمُ الداخلي كان مركزُ الجروح،

ناخر العَظْم، في صباحٍ شَتَوي، نَسَمَاتٌ عَليلة، كانَ أَوَّلَ يَوم التحاقي في المَرحلةِ الأولى من الجامعَة،

أنتَظرُ جَمع أشتاتي، أُحَاوِل النُّهُوضِ مِنْ هَذَا المُجتَمَعُ الضَّحْل، إبرَاز نَفسي، كإِنسان حُر يُحَاوِل تَحقِيق ذَاتِه، حاصرني الخَوفَ مِنْ جَميعِ الجِهَات، حملتُ حقيبتي، أُنطلِقتُ كأنه مَثوَاي الأخير، الدمُوع أَصبَحت حَبِيسَة داخلُ المُقل، كلمات الوَدَاع أَسِيرَة،

نَعَم الخَوف مِن المُستقبلِ للأُمور الحبيسة، لملمتُ أفكاري، أنطَلَقتُ في المواصلات مع (أبي)

وصلتُ إلى وجهَتي، تَرَك حقائبي وغادرني، حَلّ المساء تَلحفتُ بخوفي، توسدتُ أفكاري، لملمتُ جرَاحي، وَدَعتُ واقعي، وسَجدتُ أَوّلُ صَلاة لَيل في مكانٍ بعيد، مكان لَم أَعرِف ماذَا يُخَبئ لِي؟

فَرحة، حُزْن، نَجَاح، خَوْف، أنطلقتُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، ضَحِكتُ، فَرِحتُ، شاركتُ حُزني وفرحي، عرفتُ الكثير مِن الفتيات، منهُم مَنْ كانت بَلسَم لجروحي، وَهُنَاك أَفاعِي تَنتَظِر الفرائس، توسدتُ أَحلاَمي في رُكني الصَّغير مَعَ كُتبي،

مَرَّت الْأَيام، جَاءَ يَومٌ دخلَتُ فيهِ كُلية القَانُون لِحُضُورِ مُؤتَمر، أبتَعتُ كِتَابًا قَرِيبٌ مِن أَحدى الْمكاتب المَوجُودة كان هدية لِأَبي، نَعَم هَدية عَلَى وَجهِ الخُصُوص،

لَكِن أَحسَستُ بشعورٍ غَريبٍ سَيطَر عَلَى قَلبي،

أتصال لَم أَعرِفْ ما هُو، صُرَاخ دَاخِل جَسدي، تَغَير الكثير، أَصبَحتُ أتخبط، أترنح، لَا أستَوعب ماذا حَصل؟

لكن ما حَصَلَ هو بَعدَ سَبعِ أَيام أتوسد في المشفى مَع أفراحي بَعد فِقدان أَبي، أَثَر أنسِداد في شريانِ القَلب، كتَابي مَعي، والوعد الذي قَطَعتهُ لهُ بِأن أَكُونَ كاتبة،

جاري التَحقيق.

الأمومة في وطني

الأجتماع كان مُفعم بجوٍ من الصخبِ اللاذع،
وأصوات الشباب تصدحُ والأُمهات تغني،
جاء العيد وأنتشر الفرحُ،
إلا تلك العجوزُ التي ترتدي ثوبًا مرقع،
تجلسُ في طرفِ الطريق،
تستجدي العطفُ ليس للحصولِ على المال
لكن لعل أحدهم يُقرضها مشاعر الأمومة.

غرفة رقم ٤

غرفةُ الحجرُ الصحي،

قريبٌ من ردهاتِ المقيمين في المشفى، أصبحتُ أتخبط، فتحتُ الستارةُ الجانبية في الغرفةِ وإذا بصوتِ المُمرض المُقيم هذا طعامكَ، أصبحتُ أتلعثمُ ما حالَ هذا الممرضُ اللعين، أنطلقتُ خلفِ السرير وإذا بصوتِ أحد المرضى يحاولُ جذب النفس، يحاولُ الحصول على قليلٍ من الأوكسجين، بعد فترة صُراخ من أسفل النافذة، صراخ أمٌ مُصاحب مع عويل طفل، سقوطُ أحد المارين، صوتُ الإسعاف، تصادمُ السيارات، رجلُ المرور، أصوات أغلاق المحلات،

خلاف الصيدلي مع أحدى النساء،

انقراض الكمامات، تساقط قطرات المطر، أختراق الأرض، تولد قرية صغيرة تسرقُ المرضى إلى داخلها تسع كل الموتى.

نداءُ الصعاليك

نوبات الجنون سيطرت على جميع المناطق،

والمشاعر أصابها العمى، أمستْ (بُثينة) تُطالع الغرفة المهترية وتعاين المنزل الريفي الصغير،

وترسم مع كل خطوة حياة من نوع آخر، تختلفُ عن الوضع الراهن بجميعِ حذافرُها، كانت حياة سلسة مُنعمة بجوٍ دافئ، ملائكي، من أُمٍ حنونة وأبٌ رؤوف،

وإذا بنداءٍ غيرَ كُل صفاتِ الحياة وسيطر على كل جوانب الحياة،

أطلق عليه نداءُ الصعاليك، أصاب (بُثينة) شعورًا أصم، سيطر على كُلِ العقل، أصبحتْ ترمي فُتات الحياة وتقتض على الأطفال ولا تشعر بكلِ الجروح، أصبح البيتُ يُنعم بظلِ الخوف وأصوات مختلفة، أصوات من مجموعةٍ من المجانين تسكنُ داخل الجسد، تجذبُ الخوف إلى داخل المنزل، في آخر المطاف نُقلتْ إلى أحياءٍ صماء، في مكانٍ بعيد لتُلَملم شتات نفسها في غرفةٍ دافئة سُميت

"المصحةُ النفسية"،صوت حسيس سيطر على جميع المشاعر وحاربَ هذيان الروح ومزقَ أوراق الحياة، ورماها في قارعةِ الطريق، وأصبحتْ تدور مع نسمات الهواء، وتحلقُ مع الرياح الموسمية.

القاتل

يَرمُق الحَي ويُطالع كُل الشباب

حتى تَظهر لهُ الكثيرُ من العيونِ في الجوانب، الخلَف، الأمام،

حتى أَسفلَ القدم، تُحرق الخيام وتُقتل البشر،

يَعودُ إلى البيت ويضع عيونه في داخل كيس، لكن الأعجب مِن ذلك أَنها أجساد بشرية، لا تحتوي دماء، فقط سائلٌ صَمغي يلتصق بهِ في كُلِ مكان وبَعض قُطيرات دَم الجُثَث في أطرافِ الكيس.

هلوسة في العشرين

يهذي بشكل مفرط ويدندن كلام مبهم،

شاب يبلغ من العمرِ 23 ربيعًا، يهذي ويهلوس ويدور حول نفسه، ويتكلم كلام مُبهم مع أشخاص خياليين، حتى أشيائهُ مُبهمة، في بعضِ الأحيان كان يتناول أشياء ويأكل من الخيال وما رسمهُ العقل، شاب في مقتبل العمر .

(ديانا) دكتورة مقيمة في أحدى المستشفيات النفسية، تخرجتُ منذُ سنة والتحقتُ في عملي لقد سمعتُ الكثير من الكلام والتأنيب على أختصاص الطب النفسي، لكن شعور الوله والعشق لهذا الأختصاص كسر كُل الحواجز، دخلتُ الطب والهدف كان الطب النفسي أكملتُ ست سنوات ودخلتُ الطب النفسي بأمتياز وتفوقتُ على جميع الطلاب في الدفعة، اليوم أول يوم لي في المشفى

أشعرُ بشعورٍ غريب، الحالة الأولى هو (أزهر) شاب مليح مُصاب بحالةٍ غريبة يهذي، هو مريض ضمن ردهات الدكتورة (ألهام)، كنتُ أدور حول الردهات أبحث عن حالات أستوقفني (أزهر) بكلماتهِ، كان يتكلم مثل شخص تعرض لصراع داخلي يُتمتم كلمات غريبة، أستوقفتني الحالة أصبحتُ أراقب الوضع، لم أحس إلا بشعورٍ غريب وأنا سارحة في خيالٍ واسع،

-أزهر: ما بكِ ترمقينني بنظراتٍ غريبة؟

- أنا دكتورة جديدة في هذا المشفى، تنظر إلى حالتي مجموعة من المشاعر المُبهمة تسكن جوف صغير، علامات التعجب بانت على وجهِ (ديانا)!

وماستوقفها كلام (أزهر) كلام منظم، أصبحتْ تُراقب الوضع عن كثف، مستشفى الأمراض النفسية مكان مُهمل لا يجد فيه المريض مراقبة واسعة، فقط في وقتِ أستلام الدواء أستمرت الأيام وصبت (ديانا) أفكارها على ذلك المريض، كانت تشعر بوجود أشياء مُبهمة في حالتهِ هناك سر مُبهم مع المراقبة المكثفة، أصبحتْ ديانا تشعر بأن أزهر إنسان طبيعي يدعي الجنون، قررت رمي الشبك وأصطياد السمك، أصبحتْ تُراقب.. مَر الوقت وإذا بأزهر يُنادي: "ديانا أرى آثار الأقدام أعرف أنكِ خلف الباب، أعلمُ أني مجنون لكن لا ينطلي عليَّ هذا الأمر"، تقدمت ديانا وعلامات الإستفهام تجول في ذهنها؟ وإذا بقهقهة من أزهر أنتظري.. تغيرت حتى مشيتهُ وحركاتهُ نهض أغلق الباب، أصابني الرعب من تلك التصرفات، الطبيبُ النفسي شخص معرض للكثير من الأشياء، أخرج شيء من أسفل السرير كان حاسوبٌ صغير وأوراقٌ كثيرة، بقي أزهر يتكلم وعلامات الإستفهام ترسمُ على وجهي وفي نهاية الأمر موقع في الورقة الدكتور أزهر علامات التعجب على محيايا!

- مَن أنت؟

- أنا دكتورٌ دخلتُ خلسة من ضوضاء الناس لأكمل بحثي، كنتُ أتوسد جراحي في كُلِ لحظة أرى حلمي يتحقق، أتخذتُ أصدقاء

المواقع الأفتراضية من أبعدتهم الحياة عني ظهري وقوتي في تحقيق أحلامي أصبحتُ أُنبذ في الكثيرِ من الأحيان،

وتهال عليَ أنواع الكلمات الجارحة، بسبب أهتمامي بهاتفي الخلوي، أصبح الجميع صغيرهم وكبيرهم حتى أُمي لم تلبث إلا وتنهال عليَّ بأبشعِ الكلام، أصبحتُ شخص مُعاق ذهني في حدودٍ صماء، جردتُ من ذاتي حتى كُتبي رميتُ في مكانِ أفكارهم،

أصبحتُ أجرح على أشياء صماء من فعلِ عقولهم، لم أشعر بطعمِ الفرح والأحتواء، لم أجد من يربث على كتفي ويشاركُني فرحي، لم أقفز عند صدور البحث وحصولي على الأمتياز، لم أقفز عند سماع كلامٌ جميل، كانت مشاعري مُبهمة، أصبحتُ أخاف من كلماتهم،

أخاف من تأنيبهم، تعلمون شعور من تلقى أسوء الكلمات من الأهل، أعلم ذلك لكن كل إنسان لهُ طريقة في التعبير، لا أحب التطبيل ولا أحبُ التبجُح وذكر فرحي أمام الجميع،

أشعرُ في كُلِ من حولي لو أحصل على القليل من الشعور.

أمطار نيسان

كانتْ تجمعُ كُلَّ مَا يُحب وتضعهُ بَين جَنبَيها، تجمعُ أحلامه، لونه المُفضل، قَصيدَته، روايَته وَحَتَّى الأغاني، تجمعُ المقولات وخُطُوط الهواء والنسائم التي تَمر، كانَ فِي كُلِ مَنشورٍ جُزءٍ مِنهُ مخبئ، أَو كُلَّ مَا نُشرَ لهُ تُحَاول أستتفزازه، الرد عليهِ بطريقة جميلة، كانت تَمتلك خُدُودٌ جَمِيلَة، رصعة، وأنا كنتُ أَشَاهدُ مِن بَعيد، باردَة لستُ مثل مَا يُريد، أَجمَع كُتبي وتساقطُ أَوراقي، أَضَع نظارتي مع كُل أَحلامي وقلمي يَخُطّ بَعضِ الكلمات،

كبريائي فَوق الجميع يختَبئ خَلف معطفي ويُحاول جمعي وعدم إفلاتي، في بَعضِ الأَحيَانِ أُفكر أَن مَن يَراها يُعجَبُ بها، عُيُونٌ خضرَاء، خُدُودٌ وَردية مكتنزة،

رصعة وأحلام وَكُتبٌ كثيرةٌ نَعم كثيرة،

وأَنا خَلف خواطري والقليلُ مِن الكلماتِ الوَاهية لا يَصلُ منها شيءٌ، لكن خواطري كانت سبيل لكُلِ من فقدَ الحياةُ ولَا يَميلُ،

جمعتُ أحلامي وأنتظر رَمقةٌ منهُ لأن الحُب شُعورٌ وليس كلامٌ فقط، أصبحتُ أَشعر بوجومٍ أعصابي قاربَت على الفَتكِ بي في بعضِ الأَحيَان أترنح، أَراهُم منغمرين بِالضحكِ، أتناول جروحي دفعَةً واحدةً وأتقيئُ أَحلامي، باللهِ عليكِ بَعد كُل هَذَا الشُّعُور ما زلتِ

تتخبطين وتردين لَهُم خيرًا! لَقد بارَكتُ جَميع أَحلامَهُم أَو حتّى جستهم في أغلبِ حكاياتي، أسرحُ في عالمٍ مِنْ صُنعِ أفكاري، جاءَ وَقْتُ البقاء ناولتهم جِراحي على طبقٍ مِن الذهبِ، أقتَربُوا مِني أثنوا على كتابَتي الغزلية المخطوطة وكانت بدايَتُها وبصمتها الأَخيرة لَهُم، لم أخط قصتي أبدًا ولا كُل أَحلامي، أَصبحتُ أَرَى العالم مِنْ خلالِ تِلكَ العُيون الخَضْرَاء والخدود المكتنزة والرصعة،

كُل أَحلامي عشقتهم مِثل ذاتي وتمنيتُ لهُم خَيرًا، وكُنتُ أَمُوت غَيضًا إذا أَصابَهُم أَلم، والله عليَّ شَهيدٌ

لأنّ الإِنسان صنفَان، صنف يُضَحي وَيُندَب الحَظ

وصنفٌ آخر يتخذُ مِنْ أَحزَانهِ خُطُوط كتابهِ.

شُعُور الوجوم سيطر على قَلبي مِنْ أَولِ وَهلةٍ لذلك أَصبتُ بوجوم أعصابي، وأسميتُ أبنتي اليوم (وجوم).

٢٠٠٣

كانت تُلثم الجروح وتغادر طوال الوقت،

تستجمع سنين الفرح، ولحظات السعادة،

وقت ضحل يجتث بريق الأيام، وتحاول السيطرة على أيام الفرح (أنفال) فتاة عاشت طفولة مجردة من الشعورِ أيام الأحتلال الأمريكي ومنطقة المحمودية، كانت من أخطر المناطق في بغداد، نهب، سلب، تجرد من أي مسميات حرب طائفية حتى الأطفال في هذا الوقت يخاف عليها من صوت إطلاق الرصاص، من صوت الموت الذي سيطر على أجزاء المنطقة أصبح شعور الشك يسيطرُ على الجميع، الشك يُسيطر على أجزاء الحي، أنفال الصغيرة تبلغ من العمرِ خمس سنوات، أيّ خمس سنواتٍ عاشت! خرجت تُطالع لعب الطفولة تُحاول رسم شعور جميل، خرجت تهرول خلف الحلم في الحي وتضحك بصوتٍ طفولي،

نهض كل الحي، أنتشر السلام، غارة سقطت في مكانٍ قريب،

نعم أخترقت قلبُ الأُم وذهبت ضحيتها الطفولة في بغداد.

لقاء من نوعٍ آخر

في صباحٍ شتوي جميل ونسمات باردة،

أرتدي نظارتي وأضعُ القليل من أحمرِ الشفاه الأرجواني وبعض العطر الهادئ، يوم مُتعب جلستُ من الصباحِ الباكر وأستقليتُ المواصلات، مررتُ في الطريقِ أُعاين النخيل وبعض النباتات الصحراوية، طريق مُعبد منذُ زمن طويل خارج المدينة وصلتُ إلى وجهتي، كان وقت جميل، كان هو في الشارعِ المقابل،

كأن الزمانُ كَون حديقةٍ من الجوري والياسمين ترسمُ على جبيني الطفولي، كأن المُقل تُترجم اللقاء وتخط أيام الشوق في حديقةٍ يتناثرُ من أغصانها بعض الندى،

بسبب زخاتُ المطر القليلة، لم يستمر لقائي فقط خمس دقائق أختصرتُ السنين وجميع أيام الفرح،

جمعتُ هواجس قلبي وشكلتُ رواية من أحلامي، مُختصر كُل شيء عبارة عن حبوب من البُن على شكل تلك المُقل يفوح منها دخان القهوة العربية وعطر دارج وقميصٌ سماوي يحتوي تطريزة

مُخملية اللون، في بضعِ ثواني أخترق الشعور قلبي وسيطر على كل الأوردة ومراكز نقل الدم،

لا أعلم السبب أصبحتُ في حالةِ هستريا، أصبحتُ أُهذي، أُهلوس، أتخبط بجدران الحياة،

أتمايل داخل أفكاري وفي بعضِ الأحيان أهرول، عيني أصبحت في دوامةٍ ولساني أصابهُ الخرس، من أولِ وهلة عندما ألتقتُ مُقلتي أصبحتُ أشرب القهوة باردة،

أسكبُ الشاي على يدي، أترنحُ في وله، من أولِ خطوة رسى على أحلامي وعلى الشعورِ ومواطنُ الفرح، لقاء من نوعٍ آخر ترجمَ كُل أيام السعادة والفرح.

مدينةُ السلام

راقَ ليّ شعورُ الإنسِجامْ الذي يحدثُ بين أجزاء تلك المدينةُ الصغيرة، تعمُ بجوٍ سعيد، في لحظةٍ واحدة أصبحَ الجو مُغبرًا، وأصاب الجميع السُباتْ، أشبه بالسُباتِ الشتويّ لكل الكائنات..

مدينةٌ معدُمة ينتشرُ بينَ أجزائها سرابٌ ودخانٌ ورائحةُ البارود، شوهدَ ظلُ فتاةٌ صغيرة، تترنحُ بين أجزاء المنازل المُنهدة وأكوامُ الحجارة، تتعثرُ حتى بظلها، أصبحت تتسائل،

تعثرتْ بقماشٍ أسود قريبٌ من أحدى نوافذِ منزلٍ منهد، نظرتْ من الثُقبِ، نعم لمْ تشعرُ إلا بشخصٍ يتنفسْ..

أصبحتْ تُنادي هل من مُجيب؟

أيوجد شخصٌ هنا ينقذني من بؤسي؟ أين ذهبَ الجميع؟ ما هي إلا لحظةٍ ويدٍ صغيرة تخرجُ من طرفِ المنزلِ المُنهد تحاولُ جذبَ أنتباه الصغيرة، حاولتْ النهوض،

شمرتْ عن ساعديها، أنحنتْ، دبت بها الحياة حاولتْ أستعادة البسمة، أمسكت أطراف شعرها، ربثتْ على كتفها وإذا بها لا ترى

شيء فقط إنعكاسَ صورتها على أحدى المرآيا، أستمرتْ تجرُ أذيالُ ثوبها المُمزق وتسقي الأرضَ بدموعها،

بعد فترةٍ أصبحتْ الأرضُ طينٌ ونمى من جرحها العراق وكانت هي بغداد، نعم

نمتْ شجرةٌ مثمرة خرجَ من بين أجزائها فروعٌ كثيرة، تحتوي بعض الثمار الشابة تحاول تجاوز الآفات الموجودة بين أجزاءِ الشجرة سقطتْ بعضُ الثمارَ صرعى ضحية.

لحظةُ صدفة

لحظةٌ رسمتْ الكثير، أصبح كل شيء جماد، وقف في ركنِ الجامعة يطالعُ بعيونٍ ساذجة، يتلصص ليرمقها بنظرةٍ خاطفة،

قد يكون ذلك مجرد وهم رسمتهُ في مخليتها الصغيرة، أو هو واقعٌ تعيشُ على ذكراه العالم، يُطالع وينتظر الأمام، وهي ترجو الأمام من خلال عيونهُ السوداء.

سراب

ترتدي ثوب مخملي اللون، بخطوط ذهبية، تضع أحمر شفاه زهري وترتدي زمردة زرقاء برقبتها وحلق ألماسي وتدور في حديقةِ المنزل، أرمقها بنظرات فوضوية، أرتبُ قميصي السماوي المهتري وأعود كل ثانية بالتبسم مثل طفل أرعن في فلمٍ مصريٌ قديم وأزيح الستارة، أراها تعمل كل صباح، تطعم الدجاج وترمي الفُتات، في بعض الأحيان أتناول فُتات عقلي وأرمي الباقي إلى الأوز في البحيرة القريبة من الدار، مرت السنين وأصبحت الستارة مهترية وأهترت حتى السنين معها ورحلت كل أيامي وأصبح الشيب رمز شبابي، ورحل ظل البيت وأحترق الزرع وذبل الزهر، وأصبحتُ أتناول المواقف الأخيرة من ذاكرتي مثل قهوة ذات لون بني،

تلك كانت آخر كلمات (أمجد) بعد ألتحاقه إلى سوحِ القتال، أصبحت جميلتي تُطالع سنين الفرح،

اليوم تخط وتذعن نحو مواطن الجد، (مهجة) ذات الخامسة والعشرين ربيعًا، تجلس في أحد أحياء بغداد القديمة، تطالع سنين الفرح وأيام الطفولة المعدُمة بسبب أوضاع الوطن، لكن الأحلام وصلت إلى بابِ جميلتي وطرق الباب بأصابع من حديد ومزينة ببعض التوليب الجميل، أنطلقت صغيرتي تأمل مع كل صوت عودة (أمجد) من ساحات القتال، الأرواح هنا تتمزج من بعيد التخاطر

من الأمور التي تربط المحبين وتأخذهم إلى مواطن الفرح، ألتقت في تلك الثواني بأميرها في عالم يشبه الأفلام المتحركة، لقاء سماوي،

أرواح تتعانق، وإذا بصوتٍ شجي صوت شبابي يبشر بوصول رسالة من ساحات القتال، بعطر من الساحات مع صورة تبشر بوجهٍ بطولي، أغلقت الباب وعاشت لحظات روحية مع تلك الوريقات، تلاقت الأرواح في مكانٍ صغير في سماء الأحلام، مرت الأيام وكأنها تجرح بسلاحٍ حاد لأن الفراق أصعب من الموت، رحلت الأيام ولم يصل من أمجد خبر إلا رسالة ملطخة بدمِ الشهيد وبعض القصاصات الورقية والرسائل القديمة وقنينة عطر تصل إلى المنتصف ودبوس حصلت علية في عيد ميلادها العشرين وثوبها المخملي الممزوج بعطر الحياة والزهور الذابلة بعد فراقها ذلك الوجه البشوش وعتبة الباب تنتظر لقاء تفرح به الجفوف، ويصبح القلب حبيس في شباكهِ.

تشتُت

أطالع في روايةٍ جلبَتها ليَّ أحدى صديقاتي المُقربات، كانت عن الحب لا أذكُر أسمها لكن، كم هو بغيض ذلك الكاتب، كان لحوح يحبُ التملك أرعن، أكملتُ الصفحات،

دخلتُ في بحورِ عشق الحروف، عشتُ معهم حتى أني ربثتُ على كتف الصغيرة وهي تبكي، مع مرور الوقت شكل رواية عن بؤسي وأكتشفت أنني بطلةُ الرواية بعد معرفة أسم الكاتب، فخارت قواي ودخلتُ إلى سطور الكتاب، حاولتُ ألصاق نفسي في آخر الورقة ولكن قد فات الأوان على ذلك.

دولاب القدر

في موسمِ الحصاد، أجتمعَ الناس في وضحِ النهارِ حول الموقد، عبارة عن أخشاب تحترق كلِ صباحٍ لجلب الدفئ في صريفة الطين، في القرية، عبارة عن غرفةٍ صغيرةٍ تُسقف بواسطةِ شخوصٍ من النخلِ والجريد، الفِراشُ عبارة عن حصيرًا مُهترئًا، صوتُ بنات أوى تصدحُ في جميعِ أجزاء المكان، ونباحَ الكلابَ في الجزءِ الآخر، جلسَ مرتضى طفل يبلغ من العمرِ خمسُ سنواتٍ قاصدًا أبناءُ عمومتهِ في بداية الحقل، حقول الجنوب تكتظ بالأعشابِ والطين وبعض الصخور الكبيرة خرجِ مُتحفي يجرُ أذيال ملابسهِ القديمة، وصلَ إلى نهايةِ الحقلِ وإذا بصوتٍ دخل إلى أذنهِ ورسى على سويداءِ قلبهِ، صوت جهوري تبعَ الطفل الصغير الصوت وما كانَ منهُ إلا الهرولة؛ لأن من عادتِ الأطفالِ أكتشافِ الأشياء، نعم وجدَ طفلة مَلقية في أحدِ البساتين القريبة من المضيفِ الكبير، طفلة جميلة ناصعة البياض، توجه بها إلى داخلِ المنزل، أستقبلتهُ ليلى "أحدى نساء الريف أنثى قوية جلدة" من تلقت الصغيرة بصوتٍ جهوري ماذا يحصل يا مرتضى؟ ماذا تحمل؟

بلعثمةٍ وصوت، نعم لقد وجدتُ هذه الطفلة الصغيرة كانت تبكي يا أمي، ناولني الصغيرة، وهرول إلى والدكَ لعلهُ يجدُ الحل، أنتشرتْ

الضوضاء في أطرافِ القرية، تجمعَ شيوخ القرية في مضيفِ الشيخ وما كان منهم إلا التشاور في أمرِ الطفلة الصغيرة، من تكون ومن أي منطقة جاءَت، بعدَ التحقيق مع مرتضى ومعرفة مكانَ الطفلة أستمر أهل القرية يتوغلون في داخلِ البساتين باحثين عن السر الخفي حولَ وجود طفلة في وضحِ النهار في هكذا مكان لم تأكلها السباع الضاربة، نعم هي طفلةٌ صغيرة، حاولَ الجميعُ معرفة السر لم يشأ الجميع في تربيةِ الصغيرة لكن كانت ليلى بحاجةٍ ماسة إلى أنيسٍ؛ لأن مرتضى كبرَ ولم تنجبِ لهُ أخت، أستمرتْ السنوات ولم يعرفْ سُكان القرية عائلة الصغيرة، أطلق عليها أسم (حلا)، كانت جميلةٌ جدًا لكن بصمة العار قد رافقتها، لكن لم توقفها عن تحقيق أحلامها نعم كانت أنثى بحق، بعد مرور عشرين سنة على وجودها على الطريقِ، ها هي تُطالع الطرقات بعد خروجها من مستشفى القرية كأفضل طالبة طب في المرحلة الثانية.

نسمة هواء

أرتدي فستانٌ زهري وأتنقل بين البساتين، أقطفُ بعض الأزهار، أجمع بعض الحشرات، كنتُ حاذقة في بعضِ الأحيان، أجمعُ الكثير من النوعِ نفسه للأستفادة منها في مشروعِ التخرج، مشروع التخرج في كليةِ العلوم من الأمور المُحببة وتجذب جميع الهوات في هذا المجال، كم هو جميل الدوران حول المجاهر وتحليل بعض بقع الدم، أستوقفتني أمي: موج ستقضين حياتكِ بين تلك القاذورات أنتِ فتاة ستتزوجين بعد فترةٍ وجيزة.

موج: أمي لقد أحببتُ هذا القسم منذُ كنتُ صغيرة ولم أتوقع قبولي به، تحقق حُلمي وأجد طاقتي تكمن في هذا المكان بين الزهور والحشرات.

الأم: بالله عليكِ أيعجبكِ الموضوع؟ اسأل الله أن يوفقكِ يا صغيرتي.

أكملتُ الجمع داخل قارورتي الصغيرة وأدخلتُ باقي الحشرات وبعض الأزهار الصفراء ونهضتُ،

ما أجمل تلك اللحظات مع أجزاء المختبر وصوت سقوط بعض العلب وتعثري في المختبر وبكائي في بعض الواجبات، سرحتُ في عالم خيالي ذهب فكري إلى بعيد، أستوقفني صراخُ أمي،

الأم: سعد أجلس ما بك لقد نخرت عظمي هل أصابك شيء هل سقطت؟ أنهض أنظر لموج لقد جمعت الكثير من الحشراتِ لبحثِ التخرج، ألم تنهض لتجمع معها؟

موج: أمي ما بال أبي ملقي على الأرضِ لا يُكلمني؟ بالله عليكِ ما به يا الله، أبي أنهض أنظر ماذا أحظرتْ أمي، أبي في حالٍ جيد سيعود لا تقلقي.

نقل أبي إلى المشفى وبعد خمس ساعات خرج الدكتور من غرفةِ الإنعاش لينقل لنا خبر كان مثل الصاعقة على قلبي، الأب مصابٌ بغيبوبةٍ لا يقوى على الحركة ولا يُسيطر على جميع الأشياء، حتى لا يشعرُ بأحد، أستمر أبي في العلاج..

كانت أمي تستوقفني في الكثيرِ من الأحيان وتطلب مني الذهاب لأكمال دراستي لقد تركتُ الكثير.

الأم: موج أبيكِ لا يرضى بشيء وقلبه لا يقبل بشيء من التقصير.

موج: أبي يمرُ بظروفٍ غريبة وأنا أهتم بنفسي وجميع أشيائي.

مرتْ الأيام وأبي مُمدد في المشفى، لقد ودعنا سنين الفرح، تركتُ الدراسة علمتُ أن الأب هو عمود البيت، بيتنا أنهد أصبح كومة من الحجارة، أمي أصبحتْ جثة هامدة، كبرتُ سنين أصبحتُ مثل كهل يمر في الهرم، تركتُ أحلامي، أصبحتْ أحلامي تقتصرُ على شفاء أبي وجبر قلب أُمي، الوالدين أعظم علاقة يمر بها الإنسان، توقفتُ عن أفكاري بسبب صياح أُمي..

الأم: موج أبيكِ أستيقظ ويريدُ رؤيتكِ.

هرولتُ كأن الحياة أعطتني كنزٌ ثمين، تركتُ الجميع، الدراسة، أحلامي، كل شيء أصبحتْ أحلامي الآن فقط أبي وأمي.

أفلاطون

أقتربتُ من تحقيقِ الأهدف وإكمال جميع كتب الفلسفة الموجودة في خزانةِ والدي القديمة،أنام بعد منتصفِ الليل، يحاصرني أفلاطون في المنامِ وينهال عليَّ بالشتائمِ،

"أين أنت والمدينة الفاضلة؟، أرجع إلى حي الطين"، أستيقظُ وأكملُ الجدار الخارجي ببعضِ الأحجار.

أواق مبعثرة

في ركن المكتبة الصغيرة تركتُ أحلامي،

وعلى تلك الذراع تركتُ شعور الخوف من المحتوم،

أصبحتُ لا أخاف حتى الموت،

أذعن نحو غايتي، وأحلم أحلام غريبة، لقد بدأت حكايتي في ركن مكتبة صغيرة في مدينة باريس، كنتُ أطالعُ كتاب (عبد العظيم فنجان كمشة فراشات)،

وعلى جبيني تعابير جميلة، ترسم الحروف بسمة فرح، الوقت يمر مثل البرق وأنا سارحة في تلك الحروف،

أستوعب بعضها، أقضم الكثير وبعضهم أقومُ بأبتلاعهِ دفعة واحدة، عندما أقرأ لهذا الكاتب، أشاهد ذهني يدور ويسرح بغير عالم، كأن العالم منزل صغير وقرية وأوز،

فقط مرت الساعات لم أشعر بشيءٍ، لكن عقلي لم يكف عن التفكير، إلا على وقع خطوات خفيفة، أقترب مني شاب مليح يرتدي نظارة طبية، أعتقد أنه قريب على فقدان البصر،

من أصول عربية لأن الوجه فيه الملوحة العربية، عاينتُ المقل النرجسية، وعدتُ أخوض في بحر الكتاب، مرَ وقت طويل وما زال يبحث عن ضالته،

إلى أن أخرج كتاب من جيبه وترك كُتب المكتبة، كان كتاب مهتري، عليه خطوط عريضة وأوراق قديمة،

شرد ذهنه، أصبحتُ أطالع كتاب الآخر، تركتُ الكُتب والمكتبة، لقد أستعار عقلي هذا المليح حتى أنه لم ينتبه لوجودي، أستمرت الأيام وكان كل يوم يجلس في الركن، أستمريتُ أطالع كتبي العربية، أخرجتُ كتاب صغير، أخذته من مكتبة أبي القديمة، بعض الكتابات الجميلة لغسان كنفاني، لم أشعر إلا بوقع خطوات على رأسي، "هل يمكنني أستعارة الكتاب بعد إكمال قرائتكِ له؟"،

عاينت المقل النرجسية وخرج من لساني "نعم يمكنك ذلك"، جلس، أستمر بالتكلم، كان من فرنسا من أصول فلسطينية، يتقن اللغة العربية ويحب الشعر وتستهويه الكُتب والمطالعة، أستوقفني المليح، الحركات كانت تشابه كاتب حاذق عندما أمسك كتابهُ اليوم بأن العرق العربي المميز،

أصبحتُ أنتظر الساعة التي نجتمع بها ونتكلم الكثير، أحتاج التكلم ولا أكف عن الكلام معهُ حول الكُتب والكُتاب وقد ننظم بعض الأبيات الشعرية ونلسقها في أوراقِ الكتب وبعض الذكريات، أصبحنا نجمع الدواوين والأفكار والكُتب،

ونتشارك الأفكار والأحداث، رواية طويلة تحتوي الكثير من الأحداث وتمتزج مع البُن والفلكلور العربي الذي يجمع العرق الفلسطيني والعراقي على أرضٍ عريقة أرض الأجداد،

كنا نسافر للعصور القديمة، نذهب إلى القصور القديمة والنقش المعماري العربي، تفاصيل غسان رسمت على جبين المليح وكل الشيم العربية، سارت الأيام مثل البرق والوقت أصبح سريعًا جدًا، لقد طالعتُ الكُتب خلال تلك الفترة وعاصرتُ الكثير من الحكام وهاجرتُ إلى الكثير من البلدان وفي رفوف المكتبة دفنتُ كل الذكريات،

سرنا في أفكارنا، في حديقةٍ جميلة تحتوي الكثير من الزهور ورائحة جميلة، كانت أيام أنس وفرح وإنتشار السعادة، أناملي اليوم أصبحت حبيسة تنتظر شروق الشمس وبزوغ شمس الحياة، جلستُ في ركنِ المكتبة أنتظر ضالتي،

ولم تأتي وقد بقي منها القليل من الأوراق وعطر الكتاب القديم، اليوم أبلغ من العمر أثنان وسبعون سنة، وما زلتُ أنتظر في تلك المكتبة، وإذا بتلك العيون النرجسية والإبتسامة والوجه العريق والملوحة العربية تدخل ويهب معها نسيم عليل، لكن كانت تفتقر للوطن لأن وطن الكاتب الأنامل، لقد فقد السبابة والأبهام منذ خمسين سنة، ولا يريد التكلم عن ذلك، الأهم من ذلك إني وجدتُ روايتي وسأخطُ اليوم أحلامي.

لقاءٌ في روايةٍ

لقد سرحتُ في علاماتِ التنصيص الصغيرة والحروف المشددة وحتى تلك الكسرة أسفل كلمة أحبكِ،

وتلك الضمة الصغيرة في يُحبكِ، نعم لقد سرحتُ بهم، لقد أستوقفتني النقطة الصغيرة، وتعثر بخطأ بسبب الهفوة وتوقف قريب من القوس الدائرية، لقد جمعتُ عدتي ورفعتها مع الفتحة ولفظتُ آخر أنفاسي مع كلماتي المبعثرة الممتلئة بالأخطاء، أردتُ أستعارة سطورك لأهديها لكَ،

أعلم أن حروفي هذه لا يسعها المقام لأن الرسالة ستتعثر لكثرةِ الهفوات والتراطمات والأمواج وساعي البريد يرفض أيصال الكلام المنمق،

نعم، هل أستعير روايتك؟

وأهديها لك؟، جلستُ على وقع خطوات صغيرة في أحدى المكاتب، كنتُ أغط بنومٍ عميق، وأحلم بأحرفِ الرواية منطوية على نفسي، أفكرُ بنافذةِ النور لعلها تنفتح وتُنور حياتي، أخط برواياتي منذ سنة كاملة، جلستُ بصوتٍ جهوري "كتابتكِ جميلة" نهضتُ "شكرًا لك"، غلقتُ أوراقي، جلستُ بوضعٍ جيد، تكلمنا عن تفاصيل الرواية، لا أعلم لقد فتحتُ قلبي أو لأني أردتُ أن أتكلم مع غريب وأرمي

حزني وأذهب، أستمريتُ ساعتين لم أفكر بشيءٍ فقط الحوار وطريقة كتابتي للرواية، كان يثني على أسلوب أستمريتُ على تلك الحالة ثلاث أسابيع، لكن لم يمر في ذهني طرح سؤال عن حياتهِ الخاصة، في آخر يوم أكملتُ الرواية، كنتُ سعيدة جدًا، حققتُ حلمي،

أكملتُ الأوراق وأخرجتُ رواية جميلة أشتهرت في آخر الوقت قرأتها قبل فترة، جلستُ أتكلم عندها بعد فترة وجيزة وإذا بصوتٍ أخبريني من الكاتب، قالت: أتعلم؟ منذ الصغر كنتُ أقرأ الكتاب ولا أعلم الكاتب! لكن

الرواية أسرت قلبي يجب معرفة الكاتب..

الكاتب (توفيق محمود)، عدتُ إلى أول ورقة،

كيف عرفت هل سبق وقرأت الرواية؟ وإذا بقهقهةٍ..لا

لكن عشتُ في سطورها، أنا الكاتب توفيق محمود.

سارقُ الأحلام

بين مفترقات الطريق قريب من أحدى القرى المحلية،

جلس يعاين الطريق برأسٍ مقطوع، يجلسُ كأنه دمية مرمية في قارعةِ الطريق، بعد فترة من الزمنِ تعلق بمجموعة من الأحلامِ المارة في الطريق، أحلام أطفال الميتم القريب،

تمثل بشكل شبح يسرق جميع الأحلام، وذهب في بداية الأمر إلى أحلام دار الأيتام، أستمر على تلك الحالة، يعترض طريق كل مار ويأخذ ما تيسر له، من الفقير المعوز حتى الشيخ والكهل والعجوز، يقتنص الفرص، في مثل هذا الطريق مر طالب طب يحمل كل أحلام الطفولة، بيت صغير، مستشفى خاص موجود في تلك القرية القريبة من منزله، حاول تحقيق حلم أمه، أنطلق لكن لسوء حظه مر على سارق الأحلام لذلك أختفت أحلام الأطفال حديثي الولادة في المشفى المقرر بنائهُ في تلك القرية وحتى حلم إنجاب الأطفال سرق وحلم الزواج، وصل حتى إلى حلم العيش لذلك أنتشر الوباء،

كل المدينة أصبحت في حالة فوضى لا يعلمون ما هو السبب!

لكن تبين أن أحلام الجميع معلقة بحلمٍ واحد هو بناء المشفى، أجتمع الجميع على قتل سارق الأحلام وإعادة ذلك الحلم الصغير؛ ليتخلص الجميع من تلك الآفة، يعود الأيتام يحلمون والعجزة، يُبنى مستشفى تولد الأطفال، يتزوجون المحبين، ينتهي الوباء، أنتشر كل أهل

القرية، أقتربوا من جثة بدون رأس تبين في نهايةِ الموضوع إنها اللعنة المعلقة في تلك الجثة، لعنة سرقة الأحلام منذ أربعين سنة، كان كل مرار يودع حلمه قريب من تلك الجثة مقطوعة الرأس، نظر لها الجميع، تعايش الجميع مع تلك الأسطورة، خاف الجميع من دثر أسطورة منذ زمن، أستمر الجميع على تلك الحالة إلا طفل صغير رفض الخضوع، حاول بكل طريقة إرجاع حلمه الصغير، حاول في كل مرة يرمى بشيء حاد، أصبح جميع من يسكنون الجوار ينهالون عليه بالشتائم لأنه يريد قمع الأسطورة، لكن كان مستمر على رأيهِ،

سرق من خلف الأسطورة حلم مجهول، كان حلم أحد الصغار بعلبة من الفراولة وحلم آخر لشابة تريد الزواج،

أخرج أحلام كثيرة تبقى فقط حلم واحد حاول إخراجهُ لكن أصابه التعب، حلمٌ صغيرٌ موجود في داخل الكثير من العقولِ، "حلم الأمان"،

لم يخرج سقط في المستنقع.

بغداد في عيونٍ أمريكية

بعد مدة طويلة من جلوسي في أحدى المصحات النفسية في مدينة واشنطن الأمريكية، أحضرتُ قلم وورقة، أخبرني

الدكتور المقيم أنها علاج لحالتي الصحية المتأزمة، أنطلقتُ أكتب عن الموقف الذي غير حياتي "بغداد" هذا الأسم لا يفارق مخيلتي، لأتكلم عن رحلتي، أستقليتُ الطائرة في أحد أيام الصيف أنا وزوجي روبن بسبب عمله في الجيش، لقد سمعتُ إن تلك المنطقة حارة جدًا،

ركبتُ الطائرة،

بعد مدة طويلة من النزول من متن الطائرة أنا وروبن وصلنا إلى مطار بغداد بعد ثلاث ساعات، سكنا في فندقٍ قريب من منطقة تدعى الرشيد، العمل في القوات المسلحة الأمريكية عمل صعب جدًا خصوصًا بعد خروجي من الفندق لأن الفترة بين عام ٢٠٠٣و ٢٠٠٤ بغداد تعيش ظروف صعبة،

كنتُ أشعر بمعانات هذا الوطن تكالب الزمان عليه، كنتُ طوال الوقت أجلس على الشرفة في نهاية الفندق، عبارة عن مكانٍ رثٍ، جلستُ قريب من أحد المنازل، يقطن قريب منها أنثى جميلة جداً لقد عشقت الجمال العراقي،

ترتدي ملابس بألوان براقة، حاولتُ التواصل معها ببعض الأبتسامات كانت طيبة جدًا، لم تشعر بالحقد رغم كوني زوجة أحد الجنود لجيش المحتل،

كنتُ أتضور جوع في أول أيام وصولي إلى الفندق، كان روبن دائم التنقل، بعد فترة شعرتُ بصوتٍ قريب من الباب كان صوت أنثوي، فتحتُ الباب ناولتني جارتي الجميلة طبق من الطعام لم أتناول في حياتي مثل ذلك الطعام لقد كانت طيبة جدًا،

رُسم على وجهها عنوان التسامح مع وشاح زهري وعبائة سوداء، لقد شاهدتُ نقاء قلبها كم كانت نقية، في نفس اليوم وفي المساء جاء روبن مُنهك من العمل، أصبحتُ أتكلم عن الجيران، الهواء العليل، نسيم بغداد، لكن تولد في داخلي شعور غريب لماذا وجه روبن مختلف جدًا، كأنني لم أعرفهُ من قبل، نام مبكرًا، أصبحتُ منذ ذلك الوقت أشاهد أحلام غريبة، كأن روبن غارق في الدماء،

أستيقظتُ على صوت صراخ جارتي الجميلة، لم أجد روبن بالسرير هرولت، أصبحتُ أتعثر في الطريق، أتمايل في مشيتي، خصل شعري الصفراء تتطاير في الهواء، قميصي الخفيف، أعيُن الناس تحاوطني، أنطلقتُ أحاول المواسات، حاولتُ فعل شيء يقلل من رعب الصغار لكن كان جميع السكان يتكلمون عني باللغة العربية وأنا لا أفهم شيئًا،بعد فترة حاولتُ العودة إلى المنزل،

شعرتُ بخطر يحيط بي، جلستُ أبكي طوال الوقت، الرعب منتشر في هذا المكان، تأخر روبن اليوم، تأخر كثيرًا،

جلستُ على الشرفة والخوف يسيطر على أجزاء جسدي في الرابعة أو بعد هذا الوقت بالقليل عاد وليتهُ لم يعد، بقع الدم في جميع جوانب الملابس العسكرية،

أبتعدتُ عن روبن أصبح روبن وحش كاسر لم يكن مثل ما كان، رباه بحق يسوع المسيح ماذا حصل له، دخل ليستحم لكن في الصباح أصبح روبن يقطع بجسدهِ، يمتص الدماء، يتلذذ بالقتل، العيش هنا عبارة عن فلمٍ رعب سمفونية إطلاق النار، القتل، الأسر، الطفولة مباحة، عندما أشاهد إطفاء نور جارتي الصغيرة تسلل شعور الذنب إلى قلبي، كيف أبقى مع ذئب كاسر يقتل الفريسة بدون شعور؟روبن وبقية المقاتلين دون أيّ رحمة، في فترة جلوسي شاهدتُ صور على التلفاز أنواع التعذيب في السجون، كان زوجي من ضمن المتلذذين في التعذيب، حاولتُ فعل شيء يشفع لعائلتي، أصبحتُ أخاف الحمل كيف لطفل يتربى على دمِ القتلى، التواصل مع اليونسيف مع المنظمات الأنسانية لكن لا يوجد مُجيب،

أخاف الأقتراب من السرير، أشعر بدم يخرج من جسد روبن، حاولتُ أن أستقل أقرب طائرة إلى الولايات المتحدة بعد سنة صعبة أصبحتُ أهذي، أختفيتُ عن الجميع، ظن الجميع موتي أو تم خطفي، ذاع الخبر على الشاشات لكن قررتُ الهروب قررتُ أن أعود من جديد بجسد وحياة أخرى، في أجزاء المصحة أحاول ترميم ما حصل، إن الحياة صعبة على الأنقياء، سأحاول رمي ما كتبتُ في المهملات.

جثة بدون مشاعر

غادرَ كل شيء، حملتُ بعض حاجتي وملابسي المتهالكة، بعدَ رَجم منزلي بواسطة أحدى الناقلات الحكومية وذلكَ لأنني أسكنُ في أحدى مناطق التجاوز، المنطقة كانت تعمُ بحدائقٍ جميلة وأرصفة، لا عليكم كنتُ أمزح..

حملتُ أحلامي معي، قنينةُ الحبر، أقلامُ الرصاص ولوحاتي الفنية أشلائها أو ماتبقى منها، لم أستطع حماية الكثير، هي لحظة ولم أشاهد إلا والبيت يسقطُ على رأسي، لو لم يُحالفني الحظ لكنتُ في عدادِ الموتى، خرجتُ أجرُ أذيال الهزيمة، لا أجرُ ملابسي القديمة، وما أحملُ منذُ زمنٌ طويل، أسكنُ وحدي أبلغُ اليوم سبعة وعشرين عامًا، منذُ خمسة عشر سنة توفي والدي، أما أمي أثناء ولادتي، أعملُ في أحدى المكاتب، درستُ في كليةِ الآداب، ولم أحصل على وظيفةٍ جيدة، لكن الأجمل من ذلك وجودي أمام الكُتب وأستطيع رسم بعض اللوحات عندما يقل عدد الزبائن، اليوم وصلتُ لهم بملابسٍ يملؤها التُراب، أعتقد أنهم سَيتفاجئون من ذلكَ، طَرقتُ باب المكتبة لم أشئ الدخول على محمود بهذا الوجه والحمولة الزائدة (أقصد الملابس)، أرى في وجهِ محمود الخوف؛

عليَّ أم على المكتبة؟ لا أعلم لكن لقد أرتفعَ صوته، ما بكَ يا أبراهيم؟ هل رجموا بيتكَ؟ ما بال حظكَ عثرٌ؟ نعم، أجلس لأجلب الماء البارد وبعض القهوة المرة لترتاح، تنفس يا أبراهيم وتكلم

لترتاح، لا عليك اليوم نام هنا في المكتبةِ، سأجلب لكَ بعض الطعام من البيت، لا عليك هذا حال كُل متجاوز يُرجم بيته ويعاني ويلات بعد ذلك، حتى لا يعلم ماذا يفعل أنا ذاهب يا أبراهيم، نعم سأجلس أُطالع هذا الكتاب الجميل وأرسم بعض اللوحات المتقنة، مرت الأيام، أستطعتُ جمعَ أحلامي وجراحي، أستمريتُ ثلاثة شهور مُنهمك في الكتابةِ والمطالعة، أستمريتُ على تلك الحالة..

في يومٍ من الأيام حاولتُ جمع أوراقي والذهاب إلى أقرب دار طباعة، لكن شاءت الأقدار سقوط أوراقي في أحدى المراكب، لكن على الأوراقِ طبع أسمي، ذهبتُ بعد ذلك أجرُ أذيال الهزيمة، أستقبلني محمود: أبراهيم لقد دبرتُ لكَ شقةٌ جميلة، لتسكنَ فيها، اليوم يوم سعدك، نَظرتُ له وتساقط الدمع من عيني لأولِ مرة أمامه، أحتضنني، ماذا حدث يا أبراهيم؟ أول مرة أراك في هذهِ الحالة، قَصصتُ لهُ ما حصل، أستمريتُ بالبحثِ ثلاثة شهور، لم أحصل على خيطٍ من الأملِ لوجود مسودتي،

تَحطمتْ أحلامي منذُ ذلك الوقت، وأنا مُنعزل متكور حول نفسي كنتُ أقلب أحدى القنوات وإذا بي أسمع أتصال من محمود: أبراهيم أدر التلفاز إلى القناة الفلانية أمسكتُ جهاز التحكم وعلى وجهي علامات الضجر، وإذا بشخصٍ أعتقد أني شاهدتهُ من قبل في أحد الكتب، رجلٌ عجوز مُلتحي، في ذلك الوقت كان عمري سبعة وعشرين مع الأشهر الأخيرة أي أشهر الكارثة، أصبحتُ أبحث عن صورته نعم، وجدتها هو الكاتب والناقد (الحارث)

لماذا أتصل بيّ، محمود لأستمعَ في بداية كلامه، أخرجَ أوارق لم تقترب الصورة لهم كومة من الأوراقِ قلبي أصبحَ في وضعٍ مُزري تذكرتُ أوراق روايتي وإذا بهِ يُخرِج كتاب من خلفهِ مطبوع ويحتوي أسم المجهول، أبراهيم أيّ هذا الأسم لكاتبٍ عالمي وجدتُ روايته في المواصلات وكان ليّ الشرف بقرأتها، أصبحتُ أول ناقد والمشرف على طباعةِ رواية كاتب عالمي وكان لي الشرف في ذلك، أشعرُ يجب أن أتأسف لأني طبعتُ روايتك من غير أذنك، لكن لم أزد حرفًا، كيف يمكنني التلاعب بحروف كاتبي المُفضل منذُ اليوم، وإذا بصوتٍ أرتطام باب المكتبة أحتضنني محمود وقال: نعم يا أبراهيم القناة تطلب، تريد معرفة صاحب السر الخفي أسم الرواية "جثة بدون مشاعر" سَحبني محمود دخلتُ ولم أشاهد غير يدٍ تصفق ليّ وخرجتْ وسائل الأعلام حولي، لقد أكملتُ قصتي على أتمِ وجه، لكن ما هي إلا برهة، وإذا بصوتِ محمود: أنهض أنهض أبراهيم لقد أسرفتَ في النومِ! وما زلتَ في الورقةِ الأولى من الروايةِ، لعلَ الحلم يكونُ حقيقة.

زهرة اللوتس

تتوشح برداءٍ أبيضٍ وتضع كمامة زرقاء على الفمِ، تهرول طوال الوقت، تتعثر في كل ثانية من الهرولة، تسقط قطرات الدماء وبعض مخلفات الغثيان والطين في المطر، أصبح الرداء الطبي عبارة عن بصمات، مع كل أصبع لجريح أو شهيد سقط مسجى في ساحةِ التحرير أصبحت أحدى اللوحات الفنية ومن المفترض وضعها في المتحف ودفع خمس دولارات للدخول والمشاهدة، لكن في كل لحظة أخاف عليها من السرقة من قبل سراق الآثار، أخاف من وقت أراها في متحف باريس وأموت غيضًا، يا ويلتي! تكلمتُ الكثير، يجب أن أقف قريبًا من ذلك المكان، أعاين لوحتي"زهراء" هي لوحتي، تهرول في ساحةِ التحرير، تبحث على جرح دفين بين المتظاهرين، تعاين أقدامهم، أيديهم، لعل أحدهم نسى نفسه من الغبار المتناثر والغاز المسيل للدموع، تلملم جرح الصغير والكبير، تضع الماء وتستخدم المعقم،

تركت أحلامها على قارعةِ الطريق، كان الهم الوحيد هو الوطن، اليوم تجمع الضماد لعله يكفي ويضمد جرح العراق، لعل المنديل المعقم يعقم جرح العراق ويقتل كل الجراثيم، أصبحت تجري بأتجاه

كل جريح وعلامات الأستفهام تُرسم على جبينها، من هي تلك الجميلة ذات الرداء الأبيض؟

أنتِ، أنتِ من يقرر نهاية قصة زهراء،

هل تنعم بحياةٍ حرة؟

أو تصبح أسرع عداء في ساحةِ التحرير؟.

(كانت مجرد روح تركها أبراهيم وهاجر)

قرروا بأذهانكم نهاية القصة..

الغاز المسيل للدموع:

عبارة عن زهور ترمى بها في ساحة التحرير، تخرج منها عطور من الجنة لذلك تأخذ الكثير من الشهداء عند إطلاقها.

هذيان أُنثى

الإذعان بواقعٍ ضحل هو شعور من لُطِخت يديهِ بالدم،

أمست أمنية في أحدى ردهات الأمراض النفسية تتخبط وتعاين تقلبات الزمان على وجهها تارة وعلى الغرفةِ المهترية يوم بعد يوم تارة أخرى، بسبب الرطوبة، حال جميع الغرف في مصحة بغداد، أمنية تخبط الزمان بها وجلبها من مُخيمات الرقة في سوريا، فتاة موصلية ذاقت الأمرين بعد بيعها في سوقِ العبيد، وجلبها مقيدة من قريتها الصغيرة وهربها في الليل متخفية بعبائة أستعارتها من أحدى الخادمات في دور الخلافة، ألتحقت في سفن اللاجئين،أمسى القارب يتخبط طوال الليل لساعاتٍ طويلة بدون أي طعام، كان الطعام الوحيد بعض الأرغفة اليابسة، "أمنية" ذات الوجه الأبيض والعيون النرجسية والشعر الأشقر، أمتزج لونها من عذوبة الماء، سارت مع وحوش لا تعرف لهم دين ولا إنسانية، تتخبط بين دور الخلافة وسوق العبيد وقوارب اللاجئين مع أناس لم تعهد معرفتهم،

أفكار أمنية تغادر بها كل أربع دقائق إلى مكانٍ بعيد، أستمرت الرحلة أيام في البحار والقرى ذاقت بهم الأمرين، كانت العيون تقتلع اللحم من العظم، أصبحت فريسة تطارد من كل الركاب، لم تذق طعم النوم تلوذ بالفرار كل ساعة، وتتخبأ خلف الأطفال

والعجائز خوف من الوحوش البشرية، لقد طالت الرحلة وهذا هو الأسبوع الثاني وهم داخل المحيط، نست السعادة والفرح والدفئ وحتى الأمان والعائلة، نست الموصل والرقة وسوق العبيد ومنزل الخلافة، أصبحت الأفكار تسقط وتتدعى مع كل طفل يسقط مغشي عليه ودموع الأمهات تطارد الأفكار، (يزن) كان أول طفل يودع القافلة ويلتحق بطيور النوارس المغادرة، ترك حليب أمه يدرُ بعد الموت، طفل لم يعرف ما تخبأ له الحياة ولم يعرف قوارب الترحال ماذا تخلف، عاش ثلاثة أشهر منعم داخل بيت سوري قديم في أحد أحياء الرقة، منزل جميل يملك كل مقومات، المنزل المثالي مع أب وأخ يبلغ من العمر خمس سنوات إلا أن هبت عاصفة وأخذت كل شيء جميل وأقتلعت عمود العائلة لكن سامر رفض ترك الوالد، ترك يزن وأمه تذوق الأمرين من فقدان الأب والأبن الكبير، قصص تسطر في قوارب اللاجئين، بقت أم سامر "أم يزن" تذوق الأمرين وحيدة تندب كل شخص، فقدت عقلها ذهب في مهب الرياح، سرنا وتركنا جسد يزن في ركن الجزيرة، الجميع ينتظر المحتوم من هو الآخر لابد من خسائر أخرى، كنتُ أتحسس، جسمي أصيب ببعض التقرحات الجلدية،

الله يا أمنية! أين أيام الأنس ومرهم الأب من أعشاب الحديقة الصغيرة، هل أنتِ القربان القادم عربون وصول بقيت الاجئين أم هنالك شخص آخر سار القارب؟

بقيت أم يزن مثل جسد مدمى أصابها الجفاف وأصبحت متخشبة تتفتت وتوقع الجميع مفارقتها للحياة بعد ثلاث أيام، مرت الأيام

وحان وقت الوداع ودعتها وكأنها قطعة من قلبي، أندب نفسي كل دقيقة،

أندب الأيام الخوالي وأيام الأنس، تُركتْ أيضًا حتى لم يكتب لها قبر يُزار، رُميتْ في الماء، سار القارب كأن الموت أصبح مصاحب له وكل ثانية نبشر الجميع أننا أقتربنا من الساحل، أقتربت الحدود الأوروبية وأقتربت أيام السعادة والفرح وإذا بعاصفةٍ تهبُ من مكانٍ بعيد جدًا،

تحاول سرقة دقائق الفرح وتسرق بعض الأرواح، لم نشعر بشيء فقط أنقلاب القارب وحدوث صوت خفي دون سابق أي إنذار، صراخ من نوعٍ آخر، صراخ الموت،

الأحتضار، شاهدتُ الجميع، شاهدتُ الروح تخور من الجسد، بينما أحلم يحنُ دوري وإذا بي في جزيرةٍ صغيرة محاطة برمال فقط أنا كأن الرياح ساعدتني أو بعض الأمواج، أشعر بالتعب كأني من وقتٍ بعيد مسجى أو بسبب الأرتطام والهذيان، ملابسي ملطخة بأشياء مغبرة نهضتُ أتتبع أثر الرمال، وأحاول إيجاد بعض الطعام، جزيرة غريبة مثل قصص الأحلام لا يسكنها أحد فقط أشجارُ الفواكه، جميلة أيام الأنس لكن فقط الرياح تشاركني فيها، أقتطفتُ القليل من الفواكهِ جلستُ، تناولتُ لقمة، تذكرتُ محمد وعيسى الصغير وحمزة الشاب الوسيم ماذا حل بهم؟

هل أبتلعهم الماء أو أحدهم في أركانِ القرية؟

غلبني النوم جلستُ على صفير غريب مختلف، لا أذكر شيء لكن وجودي اليوم في هذا المكان أثبت أصابتي بأحد الأمراض النفسية،

أحد المرضى في المستشفى، كلام أحد الأطباء يبين إصابة أمنية بمرض يجعلها تتخيل الأشياء، هذا مجرد برنامج وثائقي شاهدتهُ أول أمس خلسة من ثقب غرفة المسعفات.

أطفالُ المقابر

وجوهٌ مُسودة، يرسمُ أمام مستقبلها أحلامها، خيال لِصراخٍ:

تراهم يتخبطون، ينتهزون الفرص، لِجذب أنتباهك، لشراءِ أعواد البخور، كمية من الشموعِ، قداحة،

يرسم على ملامحهم الكثير، يصلحون لي شيء، أحدهم يتقن الأدوار المسرحية وبينهم من يترنح يشبه أحد السكارى،

وأخر يمثل دور حكيم يحاول شفاء نفسه بالتربيث، لديهم أصدقاء، كُلَّ ما هياتهم حوادث أحدهم أثر الأنفجار، والآخر حادثٌ سير وأكثرهم قتل قهر، لا يستطيعون البُكاء أو في الأحرى ليس لديهم دموع فأمثلهم لا يثكل عندما يتوفى أحد ذويه،

في هذا الوقت:

سيجمعون الأعواد ويبيعونها في الظهيرة،

يصاحبون اليتامى، صور الشهداء والصراخ لحنٌ يُسمع في بدايةِ الصباح وصوت الموت في النهاية، حسيسُ الخوف من العقاب، رائحة الموت تسيطرُ على أجسادهم، تراهم يتقنون دور الكهل، يتمايلون في كُلِ الجهات، يتفقدون من لم يفتقدهُ أحد، يسهرون في رأسِ السنة قريب من سردابٍ جديد، يتربصون بمن يحملُ معهُ أواني الطعام، الصمت في أغلبِ الأحيان يطغى على ملامحهم،

يخافون أستيقاظ الزائر الجديد، يتسللون في المساءِ لمعرفةِ أخباره، يستمرون دهور في هذا المكان، حتى أنهم يستعدون للموتِ، يدفنون بعض أعواد البخور والكافور والقماش الجيد من الكفن وبعض ماء الورد (أقصد قبل خلطه مع الماء)

تستقبلهم أشباح الموت ولا يخافون نزاعات الموت، ما أجمل العيش في المقبرةِ مع أشباح الموتى، يتبعوننا مثل السراب، يلملمون خُرق الملابس المنزوعة، يجلَّبون بقايا الإنقاض،

نختلف معهم في الكثيرِ من الإحيان، لا نفزع من صوتهم، نعم نحبهم، أغلبهم يرتدون اللون الأبيض والبعض مغطى بخرقةٍ خضراء والآخر ملابس مُختلفة مغطى في الدمِ ويصبنا التعجب!

في أغلب الأحيان نمزحُ معهم بسبب الملابس البالية ونسرق حذاء (بسطال) الجندي الحزين ونرمي الورد على الأطفال، في الزحام أطفال، نهبُ إذا ثكل أحد طلب بشراءِ بعض الحاجيات، نحمل الماء ونرمي ونهرول لأن الشبح يتبعنا ويلقننا درسًا،

نعم، جميع من يسكن في وادي السلام طيبون، حتى بعضهم يزور الآخر ويتكلمون قصص جميلة، منذُ زمنٍ طويل نُصاب في حالةِ هستيريا في بعضِ الوقت بسبب عدم معرفة الكلام، نعم، نحنُ أطفال المقابر، بخور الأشباح

وشموع الشهداء وعطر الجوري

ورداء الحياة وتُراب الجنة

نحن أطفال المقابر، هل عرفتَ قصتنا؟ نحن نلحق في المراكبِ المقبلة إلى المقبرة، نبحث عن لقمةٍ تسدُ الرمق، نبحث عن متسعٍ صغير يُسيطر على أحلامها، في لحظةٍ جاء سرب من النوارسِ حمل معهُ الكثير، حمل التعب، الفرح، الحزن

وجميع العالم أصبح عبارة عن أشباح صامتة، والأجمل من ذلك رحل أطفال المقابر إلى السماءِ لتحقيقِ أحلامهم، واليوم أشباحهم تدور حول الجميع، عندما تزورون المقبرة أبتسموا،

عندما تُشاهدون أحدهم قد يكون شبح.

جواهري التحرير

يجلس في أحدى مقاهي شارع الرشيد،

ويُدخن بعض السكائر الرخيصة، ويرمي القاذورات في الطريق، كان يُدخن بصورة هستريا ويرمقُ كل المارون بنظرةٍ حادة، علامات الضجر بانت على محياه والريب سيطر على جميع الموجودين،

شاب في العشرين من عمرهِ، علامات الحزن تسيطر على جوانبِ وجه، ويضع منديل مخملي اللون مع بعض أقلام الحبر في جيبهِ الجانبي ويرتدي نظارة طبية، ذو شعر غير مُصفف يشبه أحدى الشخصيات الكارتونية، حذاء مُهترئ، النادل (الكهوچي) أبي فلاح يغتاض من وجود الشباب في المقهى لأنهم ينشرون الفوضى، صوت المذياع صوت لأحدى الأغاني القديمة، وبعض كبار السن يتناقشون ويشربون القهوة، صوت صُراخ من بعضِ الشباب في الجوار، أصوات الشيوخ تسيطر على جوانب المقهى، الشاب سارحٌ في عالمٍ من الخيال الواسع، ليس كباقي الشباب، أخرج بعض الأوراق وكتاب مُهترئ وقلم الحبر، ترك آثار جميلة على أبهامهِ وأصبح صديق للسبابة، أستمر الشاب بكتابةِ بعض الكلمات ويردد ألفاظ غريبة، كأنهُ يعيش في الجانبِ الآخر من العالم،

منقطع عن العالم الخارجي لا يرى تلفاز ولا شبكات التواصل الأجتماعي، في حالةٍ من الهذيان سمعَ صوتٌ غريب "أنهض الوطن بحاجةٍ لك"،

أخذتهُ نوبةٍ من التفكيرِ من أين جاء هذا الصوت؟

وإذا بمذياع (الحجي ابو فلاح) يعلن أندلاع أشتباكات بين الخرجين في ساحةِ التحرير، أصابتهُ حالة هستريا، شاب منذُ خمس سنوات خريج لكليةِ الهندسة قسم الحاسبات، كاتب أرعن يتشاجر مع الكلمات ويضجر منها في الكثيرِ من الأحيان، نهض مثل النورس المحلق نحو غايته، جمع حقيبته الصغيرة وديوان الجواهري (أعز ما يملك بعد فقد الأهل)

هبَّ بأتجاهِ المؤانسة بغداد، بأتجاه غايته المنشودة مثل نورس محلق جسد هزيل، لا يقوى على أيّ قتال توسد الأرض مع أخوته هبَّ مثل طائرٌ سلمي يفقد أحد كتبه مع كل هجوم معادي، كان ديوان الجواهري أعز ما لديهِ في أحدى المناورات سقط مسجى، فقد ديوان الجواهري وفقد نفسه لا يعلم هل هو من مات أم ديوان الجواهري؟

أُصيب بسلاحِ العدو بهدوءٍ تام، فمات الجواهري من جديد.

الوطن يتزين بدمائنا

يتوسد الرصيف وثيابه تتزين ببعضِ التُراب وكتل الطين، شاب يجلس في أحدى مناطق بغداد، قريبٌ من جسرِ السنك، يحمل كاميرا صغيرة وجهاز خلوي قديم، أبتاعه منذ أربع سنوات بأموال بيع بعض الصور، هادئ لا يتكلم كثيرًا، الأبتسام تزين وجههُ الشبابي،

كان عبارة عن شحنات أيجابية تبثُ النور في كلِ مكان، جسر السنك مركز المتظاهرين، في كثيرٍ من الأحيان تحدث فية مناورات بين القوات الأمنية والمتظاهرين، كان يهرول لإسعافِ الجرحى، يدمى ويظن الجميع أنه الجريح، يلتقط الصور، يوثق الأحداث ويجلس في الليل يتوسد فراش مُهترئ وغطاء خفيف ليحميهِ من بردِ الشتاء القارص،

منذ شهر وهو في هذا المكان، مثل النسيم رجلُ الأزمات، الأم كانت تخافُ عليه من ضربةِ الشمس فكيف بسلاح يخترق جمجمته؟

يستشهد أصحابه ويفكر في كلِ لحظةٍ قد حان دوره، كان يقتنص اللحظات ويعبد طريق التحرير، ومرت الأيام من عادةِ الشاب أن يتوسد الرصيد وينام مبكرًا لم يشعر إلا بصراخٍ !

أصوات أمتلأت المكان، القاتل لا يميز بين صغير ولا كبير ولا حتى النساء، أصبح يهرول تارةً يحمل صغير، وتارةً أُخرى يحمل

صديقهُ الذي يتوسد أمس قريب منه، الشباب تسقط مثل الحمام، هرول.. هرول، في بعضِ الأحيان يسقط وآخر ينهض ويكمل الطريق، وقف ليسترج نفسه ويسترج قوته، فقد كاميرته، فقد أشيائه حتى قلبه مع أصدقائه وإذا بسكينٍ تخترق قلبه وتأخذ بعض الأجزاء مع سحبة السكين، سقط مسجى

ولم يعلم أحد بسقوطهِ لم يتفوه بكلمةٍ، الدم أنتشر، قميصه السماوي أصبح أحمر حتى التطريزة عُدمت، قلب الأم نخر كل شيء ذهب، رحل وذهبت كل سنين السعادة، الأم تندبُ الحظ العثر، المكان، السرير كل شيء يفتقد الشهيد.

فراشةُ الرحمة

تمشطُ شعرها، تضع بعض مساحيق التجميل، تمسح الحزن المتراكم على وجهها الطفولي، وترمي ما تبقى في سلةِ المهملات، وتنهض ما هي إلا دُمية من أرض الخيال، لم تشعر أن جسدها مرمي في مكبِ النفايات والوهم، (رانيا) أحدى المُسعفات في أحدى المستشفيات العامة في العاصمةِ بغداد، كانت جميلة، هادئة جدًا، تمتلك تلك البصمة العربية الجميلة مع ملامحها المطبوعة في كنائسِ بغداد الطيبة، أمتازت بأخلاقها العالية، تُعالج جميع المرضى وتعطفُ على الصغير، في الواحدِ من أكتوبر هبتَّ مثل بقية المُسعفات، تحاول رسم شيء يجعل منها خالدة وتشارك في ثورة وطن لم يُعترف بوطنيتها، منذُ أول يوم من الثورةِ كانت مرابطة في جسرِ السنك مع مجموعة من المسعفات..

الوجه أصابه جفاف من حرِ الشمس،اليد أصبحت عبارة عن أخشاب، فقدت الكثير نعم حتى فقدت أحلامها بعد وصول قرار الفصل لكن بقت مثلُ الجُندي المجهول تنزل عليها أنواع الشتائم، تُتهم بتهمٍ شنيعة في يومٍ من الأيامِ كانت تهرول وتحاول أنقاذ أحدهم لم تجمعها به أيُ علاقة فقط العراق، لم تشعُر إلا بصفيرِ النور أختفى، النفس ضاق وكلُ شيء أختفى،

آخر الصوت عظم الله أجوركم! رحلت شهيدة.

مُلهمي

كان يومٌ مُمطر أقرب ما يكون سحابة موسمية تهطل في وقتِ الشتاء، كنتُ أجمع شتاتي، أجمع ما تبقى من جراء الهجوم الذي أعترك حياتي عصار فكري، يجتث الأفكار ويحاول في كلِ يوم القيام بغارةٍ تحطمُ الأحلام، يا لها من أحلامٍ جرداء في مجتمعٍ مُعاق، كنتُ ألملم أحلامي في مساءٍ ممطر،

أبي متعبٌ من حروبٍ خارجية، تجتثُ كل يوم لمعان وجههُ، أمي تتورى كل يوم من وعاءِ الحزن، كنتُ أحمل أعبائي منذُ الصغر، أحاول الذهاب بها إلى مكانٍ سماويٌ بعيد، مثل كل يوم أجمع ما كان موجود من الجسم وأحومُ في شوارعٍ يقطنُ فيها كل شيء غير جميل، أنقل في يدي بعض أعواد الكبريت وبعض الحاجات الصغيرة قد تكون علكة أو ما شابه، كنتُ أحاربُ بها الأيام تارةً أستلقي على الجدارِ وتارةً يغلبني النعاس على ساقِ الشجرة، كنتُ أشعر بشيءٍ في داخل أضلاعي من الصعب أن يتحمل الشخص أشياء أكبر من عمرهِ كنتُ أحمل أغراضي وأستلقي في حوار نافذةٌ كان النور يخرج منها، نورُ المعرفة..

كان هناك رجلٌ كهل، ينطق بضع كلمات تدخل إلى سويداء قلبي، لم أكن أعهد مثل تلك الكلمات كل يوم أختلس النظر من خلال النافذة

صوت سماوي لم أعهد لهُ مثيل، لا أعرف ما تلك الحروف التي ينطقها، ذات مساء أبصرتْ عيون الكهل بعض من ردائي وهو يختلس النظر إلى مقومات إنسان زرع على أرضٍ مخربة، حاول أن يجتث كياني ويوقف خوفي بصوتٍ جميل، أدخلي يا أبنتي..

كلام لم أعهد من قبل مثله، جاءت كل أيام الفرح وأصبح السبيلُ جميل، أصبحتُ كل يوم أتعلم حرفًا وأشاءُ التكلم عن أشخاص لم أعهد أن عرفتهم، كان مثل النسيم العليل، أصبحتُ كل يوم أعانق أفكاري وأنام في غرفةٍ صغيرة، أصبحتُ أعد الوقت حتى أتعلم المزيد، في آخر الأمر أردتُ أن أعرف مصدر الحروف،

مصدر ألهامي بصوتٍ أشبه بمقطوعةٍ موسيقية، حروف القرآن الكريم، حروفٌ أخذت كل عقلي، وها أنا اليوم أصبحتُ في مقتبلِ العمر في أحدى مقابر الغرباء، أضعُ النرجس على قبر مُلهمي وأعودُ إلى مسجدِ الحي أتلو القرآن.

وباء

تَفقد السماء بريقُها بعد كل دمعةٍ تَسقط من عين تلكَ الطفلة،

تَفقد لمعانها، تَصبح النجوم حبيسةً لواقعٍ مرير،

تُحاول النزول إلى أقرب بقعة، وتُزين ذلك الخد المُحمر،

نعم: الصغيرة فَقدت لمعانها، الدنيا سارقة؛ تَسرق اللقمة من الصغار، أي وقتٍ سيطر الفرح؟

هل بوقت العيد؟ أم في ردهات الحجر الصحي في غرف مستشفى بغداد العام؟

أثر الاشتباه بمرض كورونا، نعم: ذَهب بريقها مع كل إنتكاسة، منذ عام 1992 أصبحت جسد خامد، بعد كل نقطة فارقة غادرت ليلة البارحة مع كل أحلام الطفولة، رَملتْ سقوط أخر قطرة لدموع الأهل، أصبحت تَستشعر جراحها، تُنمل جسدها أبر المخدر، الوسادة، الضماد، رائحة المشفى،

فُراق الأهل، المكان الضيق... نعم أصبح كل شيءٍ ضَيّق، ظلام الهواء يلفح، ماء حار يقع على الجسد، تابوت حديدي، أظلع متشابكة، أمعاء متقطعة، معدة فارغة، صفير... نُقلَتْ إلى مثواها الأخير.

أشعرُ بتهاتف الكلام،

نعم: عَقم جراحك وأدثر ألمك،

ألم تعلم أنك في وقت الكورونا؟ أتشعر بالدفئ؟

ألثم الجرح، أجمع الخوف،

وأحتمي؛ أن العراق مريض.

حوارٌ بغدادي

كنتُ سأَشتري لكِ البنفسج هذا الصباح، لكن الرفاق كانوا جياع، فأشتريتُ لهم خُبزًا وكتبتُ لكِ قصِيدة حب.

محمود درويش

أعلم إنكِ غاضبةٌ مني؛ بسببِ عدم جلب هدية لكِ لكن أستمحيكِ عذرًا، لذلك وضعتُ مقولة درويشكِ في بدايةِ قصتنا، نعم: إنه عيد ميلادكِ ولم أجلب لكِ أي هدية، ولم أرسل لكِ باقة من الياسمينِ، نعم قال:

درويش لقد أشتريتُ الخبز لأصدقائي لم أكذب عليكِ اليوم، أنا طالب أدرسُ في كليةِ الآداب، ونحنُ رفيقان في نفسِ الوطن، لا يوجد تعين ولا حتى لقمة تسدُ الجوع، نعم يا حبيبتي لقد جمعتُ أموال الهدية وأنطلقتُ بجوارِ البائع الموجود في شارعِ الرشيد، أردتُ أن أبتاع لكِ هدية جميلة جدًا، وأنتِ تعلمين بحبي لكِ وولهي وخوفي عليكِ في الكثيرِ من الأحيانِ، لكن أستوقفني أتصال، أردتُ أن أتجاهلهُ إلا أنه كان من أختي الصغيرة "سمية"، لقد كانت تريد بعض الأقلام والدفاتر المدرسية، لقد تذكرتُ حذائها المُهترئ، جلبتُ لها ما تريد، وأشتريتُ حذاءً، جميلةً، زهريةً وبعض الفواكه لأن أُمي تعاني نقص في الفيتامينات وصحتها متردية، في بعضِ

الأحيان يُغمى عليها، نعم أشعر بالفرح ليتكِ تدخلين قلبي وتعلمين بماذا أشعر، نعم أنتِ غاضبة لأن اليوم ميلادكِ أنتِ ويجب عدم تفضيل أحد غيركِ، تعلمين أنتِ قلبي لكن جسدي وكياني وعقلي وحتى جزء من قلبي لأُمي، أسأل عيونكِ الناعسة وحبةُ البُن في داخلِ مقلتكِ، هل تستقبل بعض كلمات الغزل هدية مني في هذا اليوم الجميل؟ حجابكِ الزهري أستولى على قلبي وأخترتكِ من جميعِ النساء؛ لأن في قلبكِ العراق، وأرى في عينيكِ عذوبة الفرات، وأرى في خديكِ جوري، وعطركِ مسك بغدادي.

لماذا أحلام وطني تتحطم؟

أعلم أن الجميع يُطالع وطني من التلفازِ ويندبُ حظه العاثر، ويُطالع الأحلام تتحطم، والبكاء يقرحُ الجفون، أعلم حال وطني مُحاصر مثل قلبي بين الأضلاع يبحث عن منفذٍ فيستقبلهُ الحجاب الحاجز وهو كالدماغ مسجون في قوقعةٍ، أنا أجلسُ على عتبةِ الباب، أُطالع السماء، هل تسمع ندائي؟ وتبعث طير يحمل العراق، ويرمي به في مكانٍ جميل، أعلم هذا من لبِ الأفكار، نعم أعود إلى ذهني وأتكلم، نعم، هل تُطالع حال العراق اليوم؟

ألم يجرحُ قلبك أم أن سنين الغُربة أجتثت العراق؟ هل أضربت عن الطعامِ؟

هل تركت النوم في بعضِ الليالي؟

هل أنتظرت إنهاء إطلاق النار بأحرٍ من الجمرِ؟

هل شجعت المنتخب؟

هل نزلت الدموع من عينيك وتحرق جفنك؟

أغيرت صورة حسابك الشخصي؟

أين وجدت الصورة؟

نعم أستعرتها من أحدِ أصدقائك، أتعلم أين مكان الصور؟ ما قصة صاحب الصورة؟

أهو شهيد أم ينتظر؟

هل شعرت بخفةِ الملابس التي يرتديها؟

ألم يؤلمك كتفك من شدةِ البرد؟

ألم يتسلل البرد إلى قلبك؟

أراك اليوم تضع الحداد على العراق

هل تعرف أنت أين صار العراق؟

وأي رداء أرتدى؟

وأي حكومة؟

باللهِ عليك، هل جلست على الأرضِ في المدرسةِ وأنت صغير؟

هل أخذت كتاب مُهترئ وحاولت إصلاحه؟

هل سقط الكرسي بك وآثار الكدمات مطبوعة على ظهرك؟

هل شعرت بالبردِ بسببِ عدم وجود شباك أو بسببِ الباب المخلوع؟

هل أوهموك أن البرد يحرك العقل؟

باللهِ عليك، هل ذهبت وحذائك يملؤها الطين وتتعثر في بعضِ الأحيان وتسقط؟ هل ضُرِبتَ بسببِ أفعال لم تقترفها؟

هل تناولتَ أرز مع لبن وشعرت بالجوعِ؟ هل جلست ولا تعلم من أين يأتيك الطعام؟

أجرحت يدك بسببِ نقل الحجارة؟

هل خرج الماء لك من السقفِ؟

أجمعت مصروفك لتشتري قطعة من كعكتك المفضلة؟

أضيعت ممحاتك ولم تجد غيرها؟

أبكيت بسبب طلبك لشراءِ قميص لأن قميصك مُهترئ ولم تجد المال؟

هل أوقفوك بالبردِ لساعاتٍ لتسمع كلام خاوي من مديرِ المدرسة؟

هل نسوك ولم يكرموك لأنك لا تتودد لهم؟

أعبرت مسافةً كبيرةً من أجلِ الدراسة؟ أصِمت رمضان في درجةِ الحرارة ستين أو أكثر؟

هل حرقت الشمس وجهك؟

أودعتَ جارك وصديقك وأخيك شهيد؟

هل حسبتَ أيام الفرح وخفتَ من الضحكِ؟

أخفت من الألعابِ الناريةِ ظنك بأنها إطلاقات من مُعادي؟

هل بكيت بحرقةٍ؟

هل شعرت بشعورٍ يُجتث كيانك، تنجرح ولا تعلم مكان الجرح؟

هل بكيت من الحرِ؟

أأغمي عليك بسببِ البرد؟

حُقن المهدء أضربتَ منها؟

هل أكلت خبز الشعير جوعاً؟

هل أصابك طفح جلدي بسببِ الماء المالح؟

إذاً لماذا تدعي إنك عراقي وتطلب؟

ولماذا تتغزل بعيونِ الوطن الناعسة، وعلم العراق المُلطخ بالدمِ؟

هل طالعتَ نصب الحرية؟

أحفظتَ كل تفاصيله؟

هل حفظتَ ساحة الحبوبي من التلفازِ؟

(قصة فنان) المشهد الأول

سيطرَ على قلبهِ شعورُ الوحدة، أخذ أقلام الرصاص، جمع أفكارهِ، طرح شعور الألم من خلفِ تلك الأقلام، أرتعشت أعضاء جسدهِ وأصبح في حالةٍ من الجمودِ أشبه بقطعةٍ من الثلج، وجهٌ شاحب وأبتسامة مُصطنعة يختبئ خلفها ذلك الصعلوك، أرتعبَ خطواتهِ، تناثر الفحم على أجزاء اللوحة، صوتٌ خلف الباب، رائحةٌ غريبة، ملابسٌ محترقة،

يجيبُ من الطارق؟

حسيس ولعثمة خلف الباب أنا هو أنتَ كيف حالك؟

أصبحَ يتخبط، تعثر بحذاءٍ صغيرة،

عاد إلى الخلفِ، أغلقَ الباب بأصابعهِ، قضمَ أظافره، جلس على طرفِ الكرسي وأكمل

لوحتهِ أو نفسهِ وإلى اليوم لم يجد نفسه.

المشهد الثاني

تعثر وسقط من الكرسيِ، أتعبتهُ خطواته المتثاقلة، تركَ فرشاته في طرفِ الغرفة الصغيرة، بعد فترة أصبح يترنح من غير سُكر، ثمل ببقايا الصمغ وأقلام الحبر، ضوضاءٌ داخل عقله، قلبه خرجَ من بينِ أضلعه، أصبحَ مثل فقاعة ألوان مُتثاقلة الخطوات، تأرجح في سلمِ الأفكار،

وضع أصابعه في أذنه، أستمر في ذلك التأرجح،

حاول إيقافه وإذا بصوتٍ من خلفهِ "من أخبركَ بوجودي هنا؟"،

خرجَ صوتٌ مبحوحٌ "أنا، هذا أنا؟"

عاد يهرول، توقف خلف اللوحة وأغلق طرف أذنه في أصابعه.

المشهد الثالث

سيطرت على قلبهِ سحابة هوجاء، تأخذه إلى جدار مظلم، أخذ بقايا أقلام الرصاص وملئ الورقة البيضاء بآخرِ دموعه وقت لقائكِ، حاول أستنشاق عبيركِ أعتقد عطركِ الفرنسي وبقايا رائحتكِ المعلقة منذ سنة ونصف، حاولتُ جعل عينيه تغادرُ الطريق وسكبُ أحلامه بعيداً عنكِ،

بعد فترة سمعتُ صوت من بعيدٍ كان مفزع، "أعيدُ أفكارك، أجمعُ شتاتك"، تراجع إلى الخلفِ، تكلم بصوتٍ غريبٍ، وإذا بظلٍ يضع يده على كتفي "كيف حالكِ يا كل حالي؟"، تراجعتُ للخلفِ، وسقط فيه، أستمر في السقوط، لست كل حالي؟.

الخاتمة

نحن الكُتاب نترنح في العالم من غير سُكر؛ بسبب كلمة حُشرت بين أضلاعنا ولا تستطيع الخروج، أن تكون كاتب يجب أن تكتب كل يوم وفي كل الأوقات، وقت تناول الطعام تكتبُ نصًا شهيًا، وعندما تصلي تكتب بعدها نص تبجيل، دعائك مختلف تمامًا حيث يكون نقلاً لتنهيدات بلدك، نحن معشر الكُتاب نملك من الإحساس الوفير، نحب القديم، نحاول إعادة الأصالة، نبحث عن عطر الكُتب، نلثم الأحرف القديمة، نصبع القُبل على رسائلٍ نكتبها ونلسق في طرفها أسم وهمي، لا نحتاج الكثير،

فقط نص من بضعِ كلماتٍ تنصفنا، كتبنا الكثير من ما ينصفنا، ما أجمل أن يزرع كتاب في قلبكَ فتحلم بنصٍ أو قصة كل مساء.

روحٌ غادرت في محطاتِ القطار،
حملت معها الأيام الخوالي، سنين
الشقاء، السعادة، قصص من الواقع
وأحلام رُسمت على جدرانِ الذاكرة،
تكونت من خلالها أمل، جيل، وطن.